سلسلة الظاهر والباطن
الكتاب الرابع

القول الصريح
عن حقيقة الضريح

([illegible])

تأليف

محمود المراكبي

([illegible])

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد للَّـه وحده، أحمده سبحانه حمـد الشـاكرين، وأشـهد أن لا إلـه إلا اللَّـه، وحـده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو عـلى كـل شيء قـدير، وأسـتغفره سـبحانه استغفار المذنب الذليل، راجي عفو مولاه الكريم، سائلا إياه بأسمائه الحسنى وصفاته العـلا أن يقبلنا بحلمه العظيم.

اللَّـهم تجاوز عن زلاتنا بعفوك يا رحيم، وسامحنا على ما بدر منا بغفرانك العميم، واكتب لنا النجاة والفوز العظيم، فضلا منك وإحسانا، يا من لا تضرك المعصية، ولا تنفعـك الطاعـة، ولا تنفد خزائن كرمك، ولا منتهى لعطائك، سبحانك لا ملجأ منك إلا إليك، ولا حصن يقينا من سخطك إلا رضوانك، ولا مانع يحجزنا عن عقوبتك إلا عفـوك، اللَّـهم هبنـا رضـوانك، واشملنا بغفرانك، واسترنا بجميل عطائك، وأسكنا جناتك، وقنا عذابك ونيرانك.

وأُصلي وأسلم على سيدنا محمد بن عبد اللَّـه، الرحمة المهداة، والنعمـة المسـداة، بعثـه ربـه ليخرج الناس من ظلمات الجهل والشرك، إلى أنوار العلم والتوحيد، فالفائز من سار على دربـه واتبع سنته، وعاش محسنا ومات مُقرا للَّـه ﷻ بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة، وأصلي وأسـلم على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى عبـاد اللَّـه الصـالحين، وعـلى الصـحابة والتـابعين، وعـلى الأنصار والمهاجرين، وعلى آل البيت الأطهار المكرمين، وعلينا معهـم برحمـة مولانـا الكـريم، وصدق اللَّـه العظيم حيث يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّـهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس-٥٨].

أما بعد؛

فقد عقدت النية على كتابة هذا الكتاب منذ سنوات طويلـة، حـين تكشـفت لي حقـائق لا يعلمها كثير من الناس، وكان العزم أن يصدر هذا الكتاب خارج سلسلة الظاهر والبـاطن، إلا أن الارتباط الوثيق بين الصوفية والأضرحة، وعظم مكانة أضرحة ومشاهد الأولياء في الفكـر الصوفي، فقد وجدت من المناسب أن أجعل هذا الكتـاب الرابـع في السلسـلة، ملحقـا بكتـاب

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة الثالث في هذه السلسلة، وعَنْونته "القول الصريح عن حقيقة الضريح"، وحذفت من عنوانه عبارة: "مدد يا أم هاشم مدد يا حسين"؛ خشية الإطالة أولا، وحتى لا يتهمنا أحد بأننا نتجرأ على آل البيت، وهنا يجدر الإشارة والتوضيح قبل الإبحار بين أمواج هذا الكتاب، إلى حقيقة جوهرية وهي ضرورة أن نفرق بين المحبة لآل البيت رضوان اللّـه عليهم أجمعين، فنحن نشهد اللّـه على حبهم، ونعتقد سمو مكانتهم، ففاطمة رضوان اللّـه عليها سيدة نساء العالمين ما خلا مريم بنت عمران، وعلي زوجها رابع الخلفاء الراشدين، والمبشر بالجنة، وصاحب الكرات والمجاهد في سبيل اللّـه حتى أتاه اليقين، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، نحبهما ونلقى اللّـه على حبهما، ونلقى جدهم سيد الخلق القائل: ﴿المرء مع من أحب﴾، هذا من ناحية، والناحية الأخرى هي دراسة الحقائق التاريخية للوصول إلى أدق الإجابات في قضايا تباينت فيها الاتجاهات، ودخلت فيها الأهواء، وتدافعت فيها التيارات، حتى أنك تسمع للحدث الواحد روايتان على تناقض تام؛ لأن كلا منها يتشيع لفريق، وينتصر له، والآخر على الطرف النقيض، فدراستنا عن حقيقة ضريح رأس الحسين والمشهد الزينبي في القاهرة، لا يحق لعاقل أن يستغلها في اتهامنا بأننا مع هذا الفريق أو ذلك التجمع، فاللّـه من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

ولو حصرنا الهدف من هذا القول الصريح عن حقيقة الضريح في إماطة القناع عن وجه الحقيقة لهان الأمر، ولكن الهدف هو لماذا وضع القناع؟ ومن صاحب المصلحة في وأد الحقيقة؟ ومن المنتفعون من وراء رواجها؟ ومن الذين سيهبون بقوة للّـهجوم على هذا الفكر؟ إن أصحاب المصالح كثيرون، تتعدد انتماءاتهم، وتتفوات أهدافهم، ولن تجد في هجومهم فكرا علميا، ولكن سبا وشتما، واتهاما وتجرأ بالباطل، وهذا كله سرعان ما يتلاشى ككل زوبعة في فنجان، وإذا جاء الحق، فليس للباطل مكان يرحل إليه؛ لأنه سيزهق من ساعته، نسأل المولى الكريم أن يجعلنا من أولياء الحق، ومن جند الانتصار للّـه ولرسوله، وليس بعد ذلك من شرف، وما وراءها إلا رضوان مِن اللّـه أكبر، والحمد للّـه الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولسنا أول من اهتم بهذه القضية، فقد سبقنا إليها عدد من العلماء والباحثين، اجتهدوا لبيان الحق فيها، والسؤال عنها يدور منذ قرون بعيدة، فقد وجه أحد المسلمين في القرن السابع الهجري سؤالا إلى شيخ الإسلام ابن تيمية جاء فيه: "ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وهداة

المسلمين رضي اللَّـه عنهم أجمعين، وأعانهم على تحقيق الحق المبين، وإخمـاد شَـغَب المبطلـين: في المشهد المنسوب إلى الحسين ﷺ بمدينة القاهرة: هل هو صحيح أم لا؟ وهل حُمل رأس الحسـين إلى دمشق، ثم إلى مصر؟ أم حُمل إلى المدينة من جهة العراق؟ وهل لِما يـذكره بعـض النـاس مـن جهة المشهد الذي كان بعسقلان من صحة أم لا؟ ومَنْ ذَكر أمر رأس الحسين، ونقله إلى المدينـة النبوية دون الشام ومصر؟ ومَنْ جزم من العلـماء المتقـدمين والمتـأخرين بـأن مشـهد عَسـقلان ومشهد القاهرة مكذوب، وليس بصحيح؟ وليبسطوا القول في ذلك، لأجـل مسـيس الضرورة والحاجة إليه، مثابين مأجورين إن شاء اللَّـه تعالى".

فالموضوع إذن يشغل بال كثيرين ومن قرون عديدة، وربما ورث جمهـور المسـلمين الكثـير من المعتقـدات عـلى أنهـا مسـلمات، كـما أن همـومهم في حيـاتهم اليوميـة أولى بالانشـغال مـن موضوعنا هذا، ولكن الأمر يحتاج إلى إبراء الذمة، وتوضيح الحق لمـن أراد، أو بحـث عنـه مـن أفراد الأمة، وقد يجد الإجابة الشافية عنـد ابـن تيميـة، فمـن أراد الاطـلاع عليهـا فليرجـع إلى الفتاوى الكبرى التي جمعت بعضا من علم شيخ الإسلام.

والمشكلة في قومنا اليوم أنهم لا يقرءون، وبالتالي يستمر الخطأ ويبقى وربـما يسـتفحل مـع الأيام، ويفقد الناس علم العلماء، حتى من يريد أن يكتـب في موضـوع معـين لا يكلـف نفسـه بالبحث في أقوال من سبقه، فلا بد للكتاب من إضافة جديدة، وإلا انتفى الغرض العلمي مـن تأليفه، وأصدق دليل على قولي هذا كتاب "مراقد آل البيت" الـذي ألفـه الشـيخ/ محمـد زكـي إبراهيم شيخ طريقة العشيرة المحمدية، وهي طريقة صوفية معروفة وشيخها معروف أيضـا في مصر، ورغم أن للشيخ دوره في الدفاع عن الصوفية في كـل مناسـبة، ويشـيد بتمسـك طريقتـه بالكتاب والسنة، ورغم جهود الشيخ المخلصـة وغـيره مـن المصـلحين في إصـلاح التصـوف، ومحاربته لبعض البدع ومظاهر الشرك، إلا أن الرجل لم يرجع إلى مـا كتبـه ابـن تيميـة، ولم يقـم بنقض أسانيده وحقائقه، وبالتالي من يقرأ كتابـه يظنـه جهـدا علميـا وتاريخيـا طيبـا، والحقيقـة خلاف ذلك، فالكتاب يُعد أحد المفاسد التي تحتاج لجهود لإصلاحه، وتحتاج إلى نقض علمي، ومناقشة أدلته في مقابل أدلة شيخ الإسلام، مع بحث إضافي لتغطية نقاط غفل عنها ابن تيميـة، والشيخ/ محمد زكي إبراهيم أيضا، وقد انتصر الرجل في كتابه مراقد آل البيت لوجود عـدد لا بأس به منها في مصر، رغم أن ذلك يخالف الحقائق التاريخية، فتراه يدافع عن وجود قبر السـيدة

زينب بنت علي بن أبي طالب رضوان اللَّـه عليهما في القاهرة، وأن رأس الحسين ﷺ قد نقلت من عسقلان إلى القاهرة، ويسوق الشيخ أدلته، وبراهينه التي اعتمد عليها، فقلت في نفسي: لو أن الشيخ قرأ فتوى ابن تيمية لأراح واستراح، ولكن الصوفية لا يقرءون لابن تيمية، ولا لابن القيم، ولا أنسى أنني كنت في زيارة لشيخي في الطريق عندما كنت صوفيا، في منتصف السبعينات، وورد على لساني أثناء حديثي معه اسم ابن القيم كأفضل من كتب في موضوع لا أذكره الآن، فما كان منه إلا أن قاطعني محتدا، وهو يقول : ابن تيمية وابن القيم لا ينبغي ذكرهما في هذا البيت.

لذلك زادت الرغبة في قلبي لتأليف هذا الكتاب ليس لمناقشة شيخ العشيرة المحمدية فيما جاء في كتابه "مراقد آل البيت"، أو للرد على أدلته وبراهينه فقط، ولا ليكون تعميقا لفتوى ابن تيمية، أو نسخة حديثة منقحة من فتوى شيخ الإسلام، تُصوب في نفس الوقت ما ذهب إليه شيخ العشيرة، وإنما أردت أن أوفي الموضوع حقه، فلا بد من مقدمة بين يدي التحقيق العلمي والتاريخي لقبري السيدة زينب وسيدنا الحسين رضي اللَّـه عنهما، تتناول هذه المقدمة في الباب الأول: موقف السنة من القبور والأضرحة، وهل لنا أن نجمع بين ضريح ومسجد في مكان واحد؟ مع بيان لأحكام المذاهب الأربعة حول الموضوع، ثم نناقش آراء المخالفين ودعاواهم بأنهم يحبون آل البيت، ويودونهم اتباعا للمودة في القربى، ونشرح اللبس الحاصل في حجج هؤلاء، وبالتالي تتناول المقدمة ما يترتب على اعتقاد الناس وجود القبرين بمصر، ثم نناقش الظروف السياسية لمقتل الحسين، التي تهيئ لخروجه من الحجاز إلى العراق حتى الشهادة؟ ونوضح موقف الناس من خلافة أمير البلاد، وهل يجوز لأحد أن يطلب البيعة لنفسه بعد انعقادها للخليفة الأول؟ وقبل أن يطلب أحد البيعة لنفسه: هل لأحد أن يطلب الإمارة أصلا؟ وما حكم طلب الإمارة؟ إننا ما زلنا نصلى حتى اليوم نار هذه القضايا، ثم نتناول نصح الصحابة والتابعين للحسين ﷺ، ثم نفسر موقفه في محاولة منا لبيان الدافع الحقيقي لخروجه، وتستمر الأحداث حتى يقتل الحسين، وتبدأ قضية رأس الحسين وموضعها اليوم.

ولمزيد من البيان نقدم جميع وجهات النظر ثم نناقشها، ولا بد من تعميق التفكير في الحالة السياسية التي دعت الفاطميين إلى نقل رأس الحسين إلى مصر، وأيضا نناقش أدلة الأطراف المتأرجحين بين الإثبات والنفي، ثم نوضح رأي ابن تيمية باعتباره أكثر العلماء تفهما لأبعاد هذه

القضية وأعمق من تكلم فيها، ونشرح أوجه اعتراضه على وجود الرأس في مصر، ثم نحسم القضية بالرأي الصحيح، والقاطع في شأنها بتوفيق اللّه تعالى.

ثم ينتقل الحديث بنا إلى السيدة زينب رضوان اللّه عليها، ونناقش ظروف دخول السيدة زينب إلى مصر كما يزعم المؤيدون، وهل دخلت مصر فعلا أم تلك فرية أخرى من افتراءات الباطنية؟ وأين دفنت؟ وأقوال شهود العيان، ونسترشد بحقائق التاريخ، حتى نتمكن من مناقشة روايات دخولها لمصر، كما نوضح بعض المشاهد الكاذبة، والمختلقة سواء في مصر، أو غيرها من البلدان، والتي يحتاج حصرها، وتتبعها إلى دراسة مستقلة تستوفي جوانب الموضوع، وقبل أن نختم كتابنا هذا كان لزاما علينا أن نشرح أشهر لقب خلعه المصريون البسطاء على السيدة زينب رضوان اللّه عليها ألا وهو رئيسة الديوان، فنعرج في الباب الأخير على الديوان، ونتعرف على هذا العالم السري الباطني العجيب.

ومسك الختام بيان حكم التصريف في ضوء الكتاب والسنة، وحكم العلماء فيمن آمن بتصريف الأولياء، ورغم أننا تناولنا هذا الموضوع في كتابنا عقائد الصوفية إلا أننا أردنا تكرار الحديث هنا أيضا، لعموم الفائدة، وحتى يتمكن من يقرأ الكتاب وحده بعيدا عن سلسلة الظاهر والباطن أن يجد مبتغاه، وقد يكون هذا الفصل من الكتاب أهم ما يجب الإلمام به حيث نوضح أنواع الشرك التي يجب على المسلمين أن يتجنبوها لصيانة دينهم، والحفاظ على عقيدتهم، ثم نختم كتابنا ببيان المطلوب منا حكومة وشعبا في القضايا التي تناولناها، وأدعوه سبحانه أن يجعله علما نافعا للمسلمين على مر السنين والأعوام، وحسما صحيحا لمن شغلته الحقيقة فراح يبحث عنها، كما أدعوه جل شأنه أن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة واللّه تعالى ولي التوفيق.

وسيكون دليلنا من آيات القرآن الكريم التي نخرجها على هذه الصورة [اسم السورة- ثم رقم الآية]، كما نستشهد بتوفيق اللّه تعالى بما صح من حديث رسول اللّه ﷺ كما نرجع إلى كتب التاريخ المعتمدة، ونناقش رواياتها وصولا للحقيقة التي يسعى إليها كل صادق، وقد تصدم النتائج التي توصلنا إليها كثيرا من الناس، فمن كان الحق أحب إليه فلن يجد في الأمر مشكلة، ولكن الكارثة التي لا يتغير وجهها عبر التاريخ هي في مواقف أصحاب الأهواء

والمصالح، نسأل اللَّـه تعالى أن يهدينا جميعـا سـواء السـبيل، وصـلِّ اللَّــهم عـلى محمـد عبـدك ورسولك وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الأول

القبر والضريح في الكتاب والسنة

١. الموت والقبر في الإسلام

٢. تحذيرات نبوية من بناء المساجد على القبور

٣. حكم الدين في الأضرحة

٤. حقيقة المودة في القربى

٥. أهل الكهف والقبور

الفصل الأول

الموت والقبر في الإسلام

للأضرحة والقبور مكانتها في كل الملل والنِّحل المنحرفة عن الصراط المستقيم، ويستطيع المرء إذا اطلع على ما يحدث في الأديان والمجتمعات الأخرى أن يتأكد من ذلك.

ونستدل هنا بقول العلامة الدكتور/ موسى الموسوي الشيعي الذي يدعو إلى تصحيح مفاهيم قومه في كتابه "الشيعة والتصحيح"، حيث يقول: "لقد زرت مقابر الأولياء في كثير من البلاد الإسلامية، فرأيت الزائرين فيها على النمط الذي نراه في مشاهد أئمتنا، ودخلت كنائس المسيحيين في كثير من بلاد العالم، فرأيت الناس فيها يتبركون بتمثال المسيح وأقدام العذراء، وقد تركوا الله جانبا، ويطلبون منهما العون في الدنيا والآخرة. ودخلت معابد البوذيين والشنتو، ومعابد الهنود والسيخ، فرأيت ما رأيته من قبل في مشاهد المسلمين والمسيحيين معا من تقديم القربان، وطلب الحاجات، وتقبيل التماثيل، والركوع والخضوع والخشوع أمامها، وهكذا رأيت البشرية تعوم في سرداب من الأوهام"[١].

وتشترك الصوفية مع غيرها من الملل والنحل في تعظيم القبور والاحتفال بميلاد ساكنيها، بينما الموت والقبور في دين الله تعالى له شأن آخر نستوضحه فيما يلي:

الموت في الإسلام ليس فناءً محضا، بل هو مرحلة من خمس مراحل تمر بها حياة كل إنسان، تلك المراحل التي بدأت بخلق الروح في الملأ الأعلى يوم أخذ الله من ظهر آدم وهو منجدل في طينته، قبضة وأخرج منها أرواح المؤمنين إلى يوم القيامة، ثم قبض قبضة أخرى، وخلق حينئذ أرواح أصحاب الشمال، ثم أخذ العهد على جميع الأرواح يومئذ بسؤالها: ألست بربكم؟، فقد قال الله ﷻ في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف-١٧٢]، ثم أودعت الأرواح في حياة برزخية لا يعلمها إلا الله تعالى، وتأتي المرحلة الثانية بعد اجتماع مني الرجل وماء المرأة في الرحم، ويأذن الله تعالى للجنين أن يجتمع في ظلمات الرحم، وبعد مائة

---

١ الشيعة والتصحيح للعلامة الدكتور موسى الموسوي الشيعي ٨٤

وعشرين يوما ينفخ مَلَكٌ تلك الروحَ التي قدرها الله تعالى في هذا الجنين، فتستقر فيه، وتنتقل الروح من حياة البرزخ إلى ظلمة الرحم، إلى أن يولد المولود، فتبدأ المرحلة الثالثة، وهي رحلة هذا الآدمي في الحياة الدنيا، حيث يجتمع فيها الروح والجسد، والعقل والقلب، والنفس، فتتنازع الرغبات مع شهوات النفس وهواها، وتلقي الدنيا بزخرفها على الحواس، مع عداوة قديمة مع إبليس، جعلت مهمته الحقد على ابن آدم، والسعي لإفساده، وسلاحه الوسوسة والتزيين، كل هذه الفتن تصطدم بالخوف والرجاء، وإخلاص العبودية لله عز وجل، ومع توالي الصراع، يحصد المرء في آخرته ما بذره في دنياه، ويستمر الحال حتى انقضاء أجله ووفاته، فتخرج الروح في بداية المرحلة الرابعة، وتعود ثانية إلى عالم البرزخ، حيث تستقر أرواح المؤمنين في الجنة، وتشقى أرواح الكافرين في النار، ويقبر الجسد في التراب مطلعا في نفس الوقت - بكيفية يعلمها الحق تبارك وتعالى- على مقامه في الجنة أو درجته في النار، والمرحلة الخامسة والأخيرة تبدأ بالبعث والنفخ في الصور، حيث تبعث الروح في بدن جديد صالح للحياة الآخرة، ينال فيها المؤمن ثواب طاعته، وينال العاصي العذاب الذي يستحقه جزاءً وفاقا على ما اقترف من الذنوب والآثام في الدنيا.

فالقبر إذن مرحلة تمهيدية لازمة لإعداد المرء لحياة الآخرة، والقبر رحم أكبر، يودع فيه الجسد، كما تودع النطفة في الرحم، ومهمة القبر أساسية كمهمة الرحم سواء بسواء، ففي الرحم يبدأ الإنسان نطفة، فعلقة، فمضغة، ثم تظهر العظام ويكسوها الله تعالى لحما، ويتم تهيئة بصر المولود وإعداد مجالات سمع الأذن لتلقي الترددات المناسبة للحياة الدنيا، وكذلك تضبط العين حتى تتلقى موجات معينة، وتستطيع أن تشاهد مدى معين يناسب ما هو موجود في الدنيا، بينما يتولى القبر نزع ثياب البدن المادي الترابي عن الميت، لأنه لم يعد صالحا لأن يدخل به إلى الملأ الأعلى، فتتحلل خلاياه، وتنخر عظامه، وتبل هيئته، ثم يستعد ما بقي من الميت وهو عجب الذنب لاستقبال أمر الله بالبعث والنشور.

فالقبر بهذا المنظور هو المكان الذي يخلع الإنسان فيه عن جسده الحواس التي أعدت مواصفاتها للتعامل مع الدنيا، ليستبدلها بأخرى تكون جاهزة لاستقبال حواس مرحلة ما بعد البعث، التي تأتي مع النفخ في الصور، ففي تلك اللحظة يعاد تكوين الإنسان وتتجمع أجزاؤه، التي تستطيع التعامل مع الحياة الآخرة، سواء أكان المرء من أهل الجنة أم من أهل النار.

وكل ابن آدم مقبور، ولا شك، والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وقد نهى الإسلام في بداية الأمر عن زيارة القبور؛ لأن القوم حديثو عهد بشرك، ثم أذن النبي ﷺ في زيارتها بعد أن وضع ضوابطها، وحدد سننها، وكيف تكون؟ كما حدد للزيارة أهدافها، وأمرنا بفعل طاعة معينة عند زيارة القبر، وتلك الأهداف هي:

- تذكر الموت؛ فالقبر هو الحقيقة المادية التي يتفق عليها المؤمن والكافر، والموت لا بد ملاق ابن آدم. ومن تأكدت له هذه الحقيقة يجد شعورا بالراحة والسكينة عندما يزور القبور، ولابد للزائر أن يتأمل مصير من سبقوه، ومآله بعد انقضاء أجله، فيجد في منظر القبر ما يدفعه لعقد النية على التوبة، والإقلاع عن المعاصي، والإقبال على الله، ومن هنا شرع الرسول ﷺ زيارة القبور، وفي لفظ آخر يقول ﷺ: ﴿نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإن لكم فيها عبرة﴾[١]. ولا شك أن من تذكر الموت لابد أن يتأمل البعث والنشور، ثم المثول بين يدي الواحد الديان.
- تزهد في الدنيا؛ فمن يرى المقابر، وحال أهلها بعد أن كانوا سلاطين، وأمراء، وقادة، وفاتحين، وعظماء، وعلماء، وغير ذلك، علم أن نهاية ذلك كله إلى حفرة في الأرض، وبالتالي تهون عليه كل مصائب الدنيا، ويبقى أمامه التدبر في أحوالها، ويتأمل المصاب الأكبر بفقد الحياة، ومفارقة الأهل والأحباب.

وقد ورد عن كثير من الصحابة، ومنهم: بريدة بن الحصيب، وأنس بن مالك، وابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وعائشة، وأم سلمة ﵄ التصريح بزيارة القبور، بألفاظ عديدة منها: أن رسول الله ﷺ،قال: ﴿كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر بالآخرة﴾[٢]، والعمل على هذا عند أهل العلم؛ فهم لا يرون بزيارة القبور بأسا، وهو قول عبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق.

١ حديث ابن مسعود أخرجه البخاري ٣٦٩٦، والنسائي ٤٣٥١، ومالك في الموطأ حديث ٩١٩

٢ حديث أنس وابن مسعود أخرجه أحمد في مسنده، وابن ماجه ١٥٦٠، وحديث بريدة بن الحصيب أخرجه مسلم ١٦٢٣، والنسائي ٢٠٠٥، وأبو داود ٢٨١٦، وأحمد ٢١٨٨٠، والترمذي ٩٧٤، وقال: حسن صحيح.

وعلى زائر القبر طاعة مأمور بآدائها أثناء الزيارة، فقد علمتنا السنة العديد من الحقائق والمفاهيم التي حرص الإسلام على ترسيخها في أفئدة أتباعه، منها: الدعاء لصاحب القبر الذي انتقل إلى دار الحساب، فإذا كان طائعا، فإنه اليوم يلوم نفسه حيث لم يزدد طاعة لربه، ولو كان عاصيا، فإنه في أمس الحاجة إلى حسنة تمحو عنه سيئة، أو يرفع الله بها عنه عذابا، وقد ثبت أن النبي ﷺ ، كثيرا ما كان يؤمر بزيارة البقيع والاستغفار لأهلها، وأيضا: تعلمنا من السنة أن الميت يتلهف على من يدعو له، وأن عمل أقاربه يعرض عليه، ومن هنا شرع الإسلام زيارة القبور للدعاء لأهلها -ونسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا من يترحم علينا إذا صرنا إلى ما صار إليه من كان قبلنا، كما ورد أن صاحب القبر يشعر بزواره ويسمع سلامهم عليه ودعاءهم له، وليس لزيارة القبور من هدف ثالث، ومن أدلة مشروعية الزيارة :

- قول أبي هريرة ﷺ: خرج رسول الله ﷺ إلى المقابر، فقال:﴿السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون﴾[1].
- وعن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال:﴿السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر﴾[2].
- وحديث عائشة، قالت: فقدت النبي ﷺ من الليل، فإذا به في البقيع، فقال: ﴿سلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنتم لنا فرط[3]، وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم نسأل الله لنا ولكم العافية﴾[4].
- وفي لفظ آخر في صحيح مسلم، أن عائشة رضي الله عنها سألت النبيﷺ عن كيفية الدعاء لأهل القبور، فقال ﷺ:﴿قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون﴾.

---

١ حديث أبي هريرة أخرجه مسلم ٣٦٧، والنسائي ١٥٠، وأبو داود ٢٨١٨، وابن ماجه ٤٢٩٦، ومالك في الموطأ ٥٣، وأحمد في مسنده ٧٦٢٧.

٢ حديث ابن عباس أخرجه الترمذي ٩٧٣، وقال: حديث حسن غريب.: وفي الباب عن بريدة وعائشة.

٣ فرط: أي سابقون ومتقدمون.

٤ حديث عائشة أخرجه مسلم ١٦١٨، والنسائي ٢٠١٠، وابن ماجه في سننه ١٥٣٥، وأحمد في مسنده.

الفصل الثاني

تحذيرات نبوية من بناء المساجد على القبور

حَذَّر رسول الله ﷺ أمته من اتباع اليهود والنصارى وأفعالهم التي ابتدعوها من عند أنفسهم، فقد اهتموا بالصور والتماثيل، واخترعوا الأضرحة، وأضاءوا لها الشموع، وخصصوا لها السدنة.

وقد خاف رسول الله ﷺ ذلك على أمته، حتى أنه في مرض الموت بلَّغ أصحابه فرادى وجماعات بخوفه من اتخاذ قبره عيدًا أو وثنًا، أو أن يتخذوا عليه مسجدًا، وتتابع الأحاديث، وارتباطها بتوقيت مرض موت النبي ﷺ يؤكد خطورة الأمر، فكأن رسول الله ﷺ يوصي أمته وصية المفارق الحريص على إبلاغهم بأهم وأخطر أمر على الأمة.

وصدق رسول الله ﷺ، فرغم تحذيره غفل الناس، ووقعوا فيما خوفهم من تبعاته، وفتحوا على أنفسهم أبواب الشرك بصوره المتعددة، حتى أصبح بلاؤنا اليوم عظيما، ويكفي أن ترى جملة من المظاهر البدعية والشركية التي لا يرضى عنها الله ﷻ، ولا رسوله ﷺ، بمناسبة مولد الولي الفلاني، أو القطب العلاني، ولا يتحرك عالم ولا متعلم لتصحيح الأمر، وإرجاعه إلى العقيدة الصحيحة كما أُمرنا بها، وعند العامة يكفي أن يشارك في هذه التظاهرة علماء من الأزهر الشريف، حتى يحتجوا بهم على صحة الموالد، وشرعية ما يجرى فيها، ولو قاطع علماء الأزهر، ورموزه الكبار هذه الموالد، لكان خيرا لهم، فما بالك لو خطبوا في الناس وحذروهم، وفي أجهزة الإعلام تحدثوا إليهم وبينوا لهم؟ إذن لاستطعنا أن نوقف هذا المدّ الخارج عن دين الله.

يقول الإمام الشوكاني: "وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعَظُم ذلك، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج، وملجًا لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا [ومنهم من سجد على أعتابها]، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت تفعله الجاهلية بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه

راجعون، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله، ويغار حميةً للدين الحنيف، لا عالما، ولا متعلما، لا أميرا، ولا ملكا، ولا وزيرا" [١].

وحتى نوضح خطورة الأمر فإننا نسوق الأدلة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ تلك التي تحذر الأمة من مواضع الشرك ومزالق الانحراف، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١ . النهي عن جمع المسجد والقبر في مكان واحد.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْـمَسَاجِدَ لله فَلا تَدْعُو مَعَ الله أَحَدًا﴾ [الجن-١٨]، ويفسر القرطبي هذه الآية، فيقول: "هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام، وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعِهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها، يقول: فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد، وقيل: المعنى أفردوا المساجد لذكر الله، ولا تتخذوها هزوا، ومتجرا، ومجلسا، ولا طرقا، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا" [٢].

ويؤكد ابن كثير نفس المعنى بقوله: "يقول تعالى آمرا عباده أن يوحدوه في مَحَالِّ عبادته، ولا يدعى معه أحد، ولا يشرك به، كما قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْـمَسَاجِدَ لله فَلَا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَدًا﴾، قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعَهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أن يوحدوه وحده" [٣].

وتوضح لنا الأحاديث المتواترة الثابتة عن النبي ﷺ، نوع الشرك الذي كانت اليهود والنصارى واقعة فيه، فقد روى أبو عبيدة بن الجراح، وعبد الله بن عباس، وعائشة، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وأبو هريرة، وأسامة بن زيد، وأم حبيبة وأم سلمة ﷺ أحاديث حتى إنه لا يكاد يخلو مصدر من مصادر الحديث الشريف إلا وقد أخرج جملة من هذه الأحاديث، والتي تنص كلها على تحريم اتخاذ القبور في المساجد، أو بناء المساجد على القبور، ففي ذلك تقليد لفعل اليهود والنصارى وشركهم، ومن هذه الأحاديث:-

---

١ نيل الأوطار للشوكاني ٤: ١٣١

٢ الجامع لأحكام القرآن العظيم للقرطبي.

٣ التفسير الكبير لابن كثير.

- حديث أبي عبيدة بن الجراح ﷺ قال: آخر ما تكلم به النبي ﷺ: ﴿أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن من شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾[1].
- حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كشف عن وجهه وهو في مرض الموت، وهو يقول: "﴿لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾، تقول عائشة: يحذر مثل ما صنعوا"[2].
- حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان يكثر في دعائه من قوله:﴿اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾[3].
- حديث أسامة بن زيد ﷺ، قال: "قال لي رسول الله ﷺ: أَدْخِل عليَّ أصحابي، فدخلوا عليه، فكشف القناع، ثم قال:﴿لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾"[4].
- حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال:﴿إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد﴾[5].
- حديث جندب بن عبد الله البجلي ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: ﴿ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك﴾[6].
- حديث عائشة، أن أم حبيبة وأم سلمة – رضي الله عنهن – ذكرتا للنبي ﷺ كنيسة بأرض

---

١ حديث أبي عبيدة بن الجراح أخرجه الدارمي في سننه ٢٣٨٦، وأحمد في مسنده ١٥٩٩

٢ حديث عائشة متفق عليه أخرجه البخاري ٤١٧، ومسلم ٨٢٣، والنسائي ٦٩٦، وأبو داود ١٤٨٨، وأحمد في مسنده ١٧٨٦ والدارمي في سننه ١٣٦٧

٣ حديث أبي هريرة متفق عليه أخرجه البخاري ٤١٨، ومسلم ٨٢٤، والنسائي ٢٠٢٠، وأبو داود ٢٨٠٨، وأحمد في مسنده ٧٠٥٤

٤ حديث أسامة بن زيد انفرد به أحمد في مسنده.

٥ حديث عبد اللّه بن مسعود أخرجه أحمد في مسنده ٣٥٤٨

٦ حديث جندب بن عبد اللّه البجلي انفرد به مسلم

الحبشة، وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فقال: ﴿إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة﴾[١].

٢. النهي عن رفع القبور.

بعث علي بن أبي طالب ﷺ أبا الهيَّاج الأسدي قائلا: "أبعثك على ما بعثني به النبي ﷺ، أن لا تدع قبرا مشرفا إلا سويته، ولا تمثالا إلا طمسته"[٢].

ولعله من اللطائف التي لا يعرفها الصوفية أن نتساءل: لماذا اختار النبي ﷺ علي بن أبي طالب دون غيره من الصحابة لأداء هذه المهمة؟ فلعل - والله تعالى أعلم - اختيار النبي ﷺ لعلي خاصة؛ ليقيم على الصوفية والشيعة الحجة يوم القيامة، فكيف يخالفون شيخهم الأول

أو إمامهم الأول [سيدنا محمد ﷺ]، حيث راح يهدم القبور بينما هم يقيمون لأبنائه الأضرحة ويرفعونها ويحتفلون حولها.

- وقال الإمام الشافعي: "أكره أن يُرفع القبر إلا بقدر ما يُعرف أنه قبر، لكيلا يُوطأ ولا يُجلس عليه". وقال أيضا: "وأحب ألا يزاد في القبر من تراب وغيره، وإنما أحب أن يشخص على وجه الأرض شبرا أو نحوه، وأحب أن لا يبنى ولا يجصص[٣]، فإن ذلك يشبه الزينة والخيلاء، وليس الموت موضع واحد منهما، ولم أرَ قبور المهاجرين والأنصار مجصصة، وقد رأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى على القبور، ورأيت من الولاة من يهدم ما بني في المقابر، ولم أرَ الفقهاء يعيبون عليه ذلك".
- وقال الشوكاني: "والظاهر[٤] أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرم، وقد

---

١ حديث عائشة متفق عليه أخرجه البخاري ٤٠٩، ومسلم ٨٢٢، والنسائي ٦٩٧، وأحمد ٢٣١١٨، وابن سعد في طبقاته الكبرى (٢/ ٢٤٠، ٢٤١).

٢ حديث علي أخرجه مسلم ١٦٠٩، والنسائي ٢٠٠٤، وأبو داود ٢٨٠١، والترمذي ٩٧٠، وقال: حديث حسن.

٣ التجصيص: طلاء القبر بالجص أي الجير.

٤ الظاهر هنا بمعنى الغالب الواضح البين، وليس بمعناها اليوم الذي يحتمل الشك، أي كأنه يبدو.

صرح بذلك أصحاب أحمد بن حنبل وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك".

- وفتاوى العلماء: "أن من أوصى بعد موته أن يُرفع بناء قبره، أو تُوضع فوقه قبة، أو شيء من هذا القبيل، فإن الوصية باطلة، ولا يجوز العمل على تنفيذها لمخالفتها الأحاديث الصحيحة"[1].

وكثير من البسطاء لا يهتدون بهذه الأحاديث ولا يعملون بها، ويقولون: إن قبر النبي ﷺ داخل الحرم المدني، فكيف تنهون عن بنيان الأضرحة والقبور داخل المساجد؟ والقوم على بساطتهم في العلم يستخدمون القياس، فلهؤلاء نقول: إن النبي ﷺ قُبِر في بيت عائشة رضي الله عنها، ولا شك أن بيتها كان خارج المسجد، وظل القبر عشرات السنين خارج المسجد حتى وفاة الخلفاء الراشدين، وقد كانت توسعات المسجد في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما من الناحية اليمنى [الشرقية] والخلفية [الشمالية]. وظل القبر خارج المسجد بعد توسعات عثمان بن عفان وحتى عام ٨٨ هـ وفي عهد الوليد بن عبد الملك دخل القبر ضمن المسجد، ولم يُدخلوه إلا لأسباب سياسية لا علاقة لها بالدين، وذلك في زمن متأخر عن عهد النبوة. وقد حقق الدكتور محمد السيد الوكيل الأسباب التي دعت الوليد أن يفعل ذلك إلى خوفه من تجمع الناس حول الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2].

٣. النهي عن ستر القبور.

أما التجصيص: أي الطلاء بالجبس، ومثله تزويق القبر ونقشه، والبناء عليه ورفع القباب فمنهي عن ذلك كله لحديث جابر بن عبد الله قال: "نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ"[3].

يقول الشيخ السيد سابق: "والتجصيص هو الطلاء بالجص، وهو الجير المعروف، وقد حمل

---

١ فتوى الشيخ عبد المجيد سليم، راجع مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية جمع الشيخ صفوت الشوادفي ٢٨.

٢ موسوعة المدينة المنورة التاريخية الجزء الرابع، المسجد النبوي عبر التاريخ، د. محمد السيد الوكيل ١١١-١١٨، وراجع الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين لغالي الشنقيطي ص٩٢.

٣ حديث جابر بن عبد اللَّه أخرجه مسلم ١٦١٠، والنسائي ٢٠٠١، وأبو داود في الجنائز ٢٨٠٧، والترمذي ٩٧٢، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده ٣:٢٩٥، ٣٢٢، ٣٣٩.

الجمهور النهي على الكراهة، وحمله ابن حزم على التحريم، وقيل: الحكمة في ذلك أن القبر للبلى لا للبقاء، وأن تجصيصه من زينة الدنيا، ولا حاجة للميت إليها، وذكر بعضهم أن الحكمة في النهي عن تجصيص القبور كون الجص أُحرق بالنار، كما لا يحل ستر الأضرحة لما فيه من العبث وصرف المال في غير غرض شرعي، وتضليل العامة".

٤. تحريم السُّرج على المقابر.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج﴾[1]. كما كرَّه الإسلام اتخاذ السرج على المقابر، ليس فقط لأنها إهدار للمال، بل إن فيها تشبها بالمجوس عَبَدَةِ النار، وأهل الكتاب الذين يهدون الشموع لقبور صالحيهم.

٥. كراهية الذبح عند القبور.

كان أهل الجاهلية يعقرون الإبل عند قبر الرجل الجواد، يقولون نجازيه على فعله؛ لذا فقد نهى الإسلام عن الذبح عند القبور منعا للتشبه بأهل الجاهلية.

إلا أنك ترى هذا الفعل منتشرا بين أوساط الصوفية، ربما لا يذهبون إلى الضريح ويذبحون عنده، بل تراهم يذبحون في بيوتهم وعند مناسباتهم، ويهدون ذبيحتهم لأوليائهم.

٦. النهي عن الصلاة إلى القبر أو عليه.

نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبر أو عليه، في العديد من المناسبات ومنها قوله

- ﴿لا تصلوا إلى قبر، ولا تصلوا على قبر﴾[2].
- وفي حديث أنس، قال: ﴿نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور﴾[3].

---

١ حديث عبد اللّـه بن عباس أخرجه النسائي ٢٠١٦، وأبو داود في الجنائز ٢٨١٧، والترمذي ٢٩٤، وقال: حديث حسن، وأحمد ١: ٢٢٩، وابن ماجه ١٥٥١

٢ حديث ابن عباس رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢: ١٤٥:٣، وله شاهدان يقويانه من حديث أبي سعيد الخدري وأنس، خرجها الألباني في كتابه تحذير الساجد ص ٣١-٣٢، وخرجه في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٠١٦

٣ حديث أنس رواه ابن حبان في صحيحه، وله شاهد من حديث مرثد خرجه مسلم في صحيحه، والسيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته رقم٦٨٩٣

ومن العجيب أنك ترى الصوفية وأتباعهم يصرون على مخالفة هذا الحديث، وأيضا مخالفة جماعة المسلمين، فيصلون صلاتين بإمامين في نفس الوقت، فتراهم يغلقون الباب على ضريح السيدة نفيسة رضي الله عنها، وما يظنونه ضريحا لرأس الحسين ﷺ كل صلاة، فيؤمهم أحدهم بينما إمام المسجد خلف غرفة الضريح يصلي بالناس، ولا يعرفون النهي السابق ولا حرمة قيام جماعتين في مسجد واحد يصلي كل منهما في نفس الوقت نفس الصلاة، وما دعاهم لذلك إلا حب مزعوم لصاحب الضريح وهو من ذلك براء، وكم من الموبقات ترتكب بدعوى الحب !

٧. النهي عن الاستغاثة بالأولياء والنذر لهم.

إن العرب في الجاهلية لم يشركوا مع الله أحدا في أمر الربوبية، فلم يزعم أحد منهم أن أحدا مع الله خلق السموات والأرض، أو خلق الإنس والجن، وإنما كان شركهم في أمر الألوهية وفي مظاهر العبادة لله الواحد الأحد، ويقول علماء الحنفية فيمن نذر لغير الله:

- "واعلم أن الذي يقع للأموات من أكثر العوام وما يؤخذ من الدراهم للشمع والزيت ونحوهما إلى ضرائح الأولياء الكرام تقربا إليهم هو بالإجماع باطل وحرام"[١].
- ويقول ابن عابدين: "قول العبد تقربا: يا سيدي فلان، إن رُدَّ عليَّ غائبي، أو عوفي مريضي، أو قُضيت حاجتي فلك من الذهب، أو الفضة، أو من الطعام، أو من الشمع.. باطل وحرام، لوجوه منها: نذر لمخلوق، وهذا النذر لا يجوز لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق، ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك"[٢].

٨. النهي عن شد الرحال إلى المساجد.

يرسخ الإسلام عقيدة طهارة الأرض، أحل الله ﷻ ترابها ليكون مسجدا للمسلم، وحيثما سجد فلا مانع ولا عائق إلا التأكد من الطهارة الموضعية للمكان، وأنه لا فضل لموضع على آخر باستثناء ثلاثة مساجد فقط، وهي:

---

١ الدر المختار مع رد المحتار ٢: ٤٣٩، نقلا عن بيان الشرك ووسائله عند أئمة الحنفية ٣٠

٢ الدر المختار مع رد المحتار ٢: ٤٣٩، ٤٤٠ نقلا عن بيان الشرك ووسائله عند أئمة الحنفية٣٠

- المسجد الحرام؛ فهو أول بيت وضع للناس، رفع فيه إبراهيم الخليل وإسماعيل الحليم القواعد من البيت، فكانت الكعبة المشرفة التي اختارها الله للمسلمين قِبْلة، وشرع حولها الطواف، وإليها الحج والعمرة، والبيت الحرام فيه من الفضل ما هو معلوم، وشأنه في كتاب الله مذكور، فوجب تفضيله.
- المسجد الثاني: مسجد رسول الله ﷺ في دار هجرته، بناه بيده الشريفة، وأسس بنيانه على تقوى من الله ﷻ، وصلى فيه النبي ﷺ طوال إقامته في المدينة، وفيه نزل الوحي، وخطب النبي ﷺ فيه وعلَّم أصحابه، واعتكف وتلا القرآن فيه، وتهجد ليله، وصام فيه نهاره، وفيه استقبل الوفود، وفيه حنَّ الجذع، وانطلق منه دين الله في الأرض، فكان فضله معلوما وشأنه عظيما.
- ثالث المساجد هو المسجد الأقصى الذي أُسْرِيَ بالنبي ﷺ إليه، وعُرِج به منه، وعنده هبطت رسالات رب السماء إلى الأمم السابقة، وبارك الله حوله، كما نُصَّ على ذلك في محكم التنزيل.

أما ما سوى ذلك، فلم يثبت فضل لموضع آخر سوى مسجد قباء لحديث النبي ﷺ عن فضله، وهو بطبيعة الحال في المدينة المنورة، فمن شد الرحال إليها يثاب على زيارته لقباء، وليس من المعقول أن يشد أحد الرحال إلى مسجد قباء، ثم يغادر المدينة قبل زيارة مسجد رسول الله ﷺ، وحين يخبر النبي ﷺ في حياته عن فضائل مسجده، فمن التعسف أن يقول أحد: إن المراد من فضله وجود قبره ﷺ فيه، فثابت ومعروف أن القبر كان خارج المسجد لسنوات طويلة، حتى أدخله فيه عبد الملك بن مروان لأسباب سياسية، كما أشرنا من قبل؛ لذلك كان المعنى مفهوما من حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: ﴿لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى﴾[٤]، كما يحدد مقدار الثواب بقوله ﷺ:﴿صلاة في مسجدي هذا خير من ألف

١ حديث أبي سعيد الخدري، وعبد اللّـه بن عمرو بن العاص متفق عليه أخرجه البخاري ١١١٥، ومسلم ١٣٦٨، والنسائي ٥٦٣، وابن ماجه ١٧١١، وأحمد ١٠٥٩٩، والدارمي ١٦٨٨، والترمذي٣٠٠

صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)[١].

ولا بد من بيان حكم من شد الرحال من طول البلاد وعرضها وراء الموالد التي تقام هنا وهناك.

٩ . النهي عن التأله على الله.

حين نسأل الناس لماذا صاحب هذا الضريح بالذات الذي حرمتموه من الدفن في مقابر المسلمين، ونسجتم حوله هذا الكم الهائل من المخالفات الشرعية؟ يقولون لنا: إنه ولي من أولياء الله الصالحين، له مقام عظيم عند الله ﷻ، وزيارته قربة وزلفى لله تعالى.

وقد لا يعرف كثير من الناس أن رسول الله ﷺ علمنا أن لا نزكي على الله أحدا، أو أن نمدحه في حياته، ففي الحديث:

- أن النبي ﷺ سمع رجلا يُثني على رجل ويطريه في المدحة، فقال: ﴿لقد أهلكتم [أو قطعتم] ظهر الرجل﴾[٢]، فما بالنا بعد وفاته؟
- وورد أيضا: أن امرأة أثنت على عثمان بن مظعون بعد وفاته، ﴿فلما تُوفي وغُسل وكُفن في أثوابه، دخل رسول الله ﷺ، فقلت[٣]: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: وما يدريكِ أن الله قد أكرمه؟، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي، قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا﴾[٤].
- وفي رواية: ﴿لما مات عثمان بن مظعون، قالت امرأة: هنيئا لك الجنة عثمان بن مظعون، فنَظَرَ رسول الله ﷺ: إليها نَظَر غضبان، فقال: وما يدريكِ؟ قالت: يا رسول الله، فارسك وصاحبك، فقال رسول الله ﷺ: والله إني رسول الله وما أدري ما يُفعل بي،

---

١ حديث أبي هريرة أخرجه مسلم ٢٤٧٥ والنسائي ٦٩٣، وابن ماجه ١٣٩٩، وأحمد ٦٨٩٣، والدارمي ١٣٨٥، والترمذي ٣٠٠، وأبو داود١٧٣٨

٢ حديث أبي موسى الأشعري متفق عليه أخرجه البخاري ٢٤٦٩، ومسلم ٥٣٢١، وأحمد ١٨٨٦١

٣ أي: أم العلاء، امرأة من الأنصار.

٤ حديث أم العلاء بنت الحارث أخرجه البخاري ١١٦٦، وأحمد ٢٦١٨٦

فأشفق الناس على عثمان، فلما ماتت زينب ابنة رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: الحقي بسلفنا الصالح الخير عثمان بن مظعون، فبكت النساء »[٢].

نقول للناس: أَوَليكم أفضل من فارس النبي وصاحبه عثمان بن مظعون حتى يُسمح لكم بمخالفة أمر النبي ﷺ بالثناء عليه والتأكيد على مقامه عند ربه؟!، هل قامت القيامة، وحاسبه ربه، وأدخله رضوانه، وأمره أن يبلغ الناس بشأنه وارتفاع مقامه؟! فما بالكم وكل هذا لم يحدث؟! والناس فقط يظنون، ويحسبونه نوعا من حسن الظن المحمود، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم-٢٨]وكلامهم لا برهان عليه، ولا دليل له، والله تعالى يعلمنا أن نسأل كل من ابتدع أمرا أن نطالبه بالدليل. قال تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة-١١١].

١ حديث ابن عباس انفرد به أحمد بن حنبل ٢٠٢٠

الفصل الثالث

حكم الدين في الأضرحة

إن مشايخ الطرق يعطلون جملة الأحاديث السابقة، ويردون عليها بشعر مجنون ليلى، الذي يقبل الجدار، [وما حب الديار شغفن قلبه، وإنما حب من سكن الديار]، ثم يدافعون عن شرك العوام، فهذا أحد المدافعين يقول: "إن منهم من يقول: يا سيدة زينب اشفِ لي ابني، وتأكيدهم على سلامة اعتقاده، أن تسألهم: أمع الله إلها آخر؟ فيقولون: لا"[1]، ونسوا أن ملة الكفر والشرك واحدة، وكلهم يقر بوجود الله ﷻ، وإنما يبتغون إليه الوسيلة أيهم أقرب، وفي موضعين في سورتي لقمان والزمر، ورد مثل سؤال خليفة السيد البدوي، حيث يقول الله سبحانه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله﴾ [لقمان-٢٥، والزمر-٣٨]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف-٨٧]، وأيضا قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف-٩]، وفي الموضع الخامس من القرآن الكريم يقول الله ﷻ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت-٦١]، ويقيم القرآن الحجة على أهل الشرك جميعا، ومن ضمنه شرك العوام الذي يدافع عنه خليفة البدوي، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله إِنْ أَرَادَنِيَ الله بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ الله عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْـمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر-٣٨].

إن من الوهم أن يظن أحد أن الإشراك بالله تعالى يختلف حاله وحكمه باختلاف الدين الذي يعتنقه المشرك، فملة الشرك واحدة، وتحذير القرآن والسنة واضح في النهي عن اتباع اليهود والنصارى، فمن اتبعهم راضيا باختياره، فقد لحقهم في العقاب يوم الحساب، وليس أوضح من تحذير النبي ﷺ الذي يقول فيه لأمته:

---

١ ومنهم خليفة ضريح السيد البدوي في مقاله بجريدة عقيدتي ١٩/ ٥/ ١٩٩٨

- ﴿لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان﴾[1].
- وعنه ﷺ أنه قال: ﴿لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ومَنِ الناس إلا أولئك﴾[2].
- وعن رسول الله ﷺ، أنه قال:﴿لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة﴾[3].

إن نبوءة النبي ﷺ تتحقق كل يوم، فحين يحذرنا من القبور واتخاذها مساجد، نبني الأضرحة، وحين يحذرنا من رفع القبر، نقيم فوقه صندوقا عاليا، ونضع عليه عمامة كبيرة، وحين ينهانا عن تجصيصه وستره، نكسوه بالديباج، وحين ينهانا عن الكتابة فوقه، نكتب عليه بماء الذهب، وحين يحذرنا من إضاءة السرج، نضيء حوله ما ينير عمارة كاملة، ثم نقيم حوله سورا من الذهب والفضة الخالصة، وحين يأمرنا بألا نشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، نشد الرحال إلى ألف مسجد في كل منها قبر ولي، وحين ينهانا أن نتخذ قبره عيدا، نجعل لكل ولي مولدا.

ومن العجيب أن ترى مشايخ الصوفية يرددون أن التصوف موافق للكتاب والسنة، ولا نعرف أي كتاب؟! وأي سنة يقصدون بعد كل هذه المخالفات؟!، إن فيما قدمناه الكفاية بإذن الله تعالى، ولكن تعميما للفائدة نعرض فيما يلي رأي المذاهب الفقهية في اتخاذ القبور مساجد:-

١ . مذهب الحنفية.

صرح علماء الحنفية بالنهي عما هو من وسائل الشرك، كتجصيص القبور والبناء عليها، وتعليتها، والكتابة عليها، واتخاذها مساجد، وإسراجها، واستقبالها للصلاة والدعاء، واتخاذها

---

١ حديث ثوبان أخرجه ابن ماجه ٣٩٤٢، وأحمد ٢١٣٦١، والترمذي ٢١٤٥، وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود ٣٧١٠، وإسناد الحديث حسن ورجاله ثقات، وحديث أبي هريرة أخرجه مسلم ٣٥٤٤، وابن ماجه ١٠، وأحمد ٢٦١٣١، والدارمي ٢١١، والترمذي١٢١٠١

٢ حديث أبي هريرة أخرجه البخاري ٦٧٧٤، وابن ماجه ٣٩٨٤، وأحمد ٧٩٥٧، وذو الخلصة رجل في دوس كانوا يعبدونه في الجاهلية، وقد أصبح في بلادنا مئات من طراز ذي الخلصة.

٣ حديث أبي هريرة متفق عليه أخرجه البخاري ٦٥٨٣ ومسلم ٥١٧٣ وأحمد ٧٣٥٢

أعيادا، وشد الرحال إليها، وحكم اتخاذ القبور مساجد عندهم هو الكراهة التحريمية، وهو اختلاف شكلي فقط، فالكراهة عندهم يُقصد بها التحريم، يقول محمد تلميذ أبي حنيفة النعمان:"لا نرى أن يزداد على ما خرج من القبر، ونكره أن يُجصص، أو أن يُطين، أو يُجعل عنده مسجدًا".

٢. مذهب المالكية[١].

فمذهبهم التحريم، يقول القرطبي رحمه الله: "قال علماؤنا: وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد".

٣. مذهب الشافعية.

ذهب الشافعية إلى أنه كبيرة؛ فقد قال الهيثمي[٢]: "الكبيرة الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة، اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها".

وعقَّب على ذلك الألوسي البغدادي بقوله: "وهذا كلام يدل على فهم وفقه في الدين"[٣].

٤. مذهب الحنابلة.

هو التحريم[٤]، نص على ذلك الإمام أحمد وغيره، يقول ابن القيم: "لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر مُنع منه، وعلى هذا فيهدم المسجد إذا بُني على قبر، كما ينبش الميت إذا دفن في المسجد، ويكون الحكم للمسجد لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك، ولعنه من اتخذ القبر مسجدًا، أو أوقد عليه سراجًا. ويعلل ابن القيم هذه الأحكام بقوله: "إنَّ النبي ﷺ نَهَى عن بِناءِ المَساجِدِ على القُبُورِ، ولَعَنَ مَن فَعَلَ ذلك، ونَهَى عن تَجْصيص القُبُورِ، وتَشْرِيفِها[٥]، واتِّخاذِها مَساجِدَ، وعن الصَّلاةِ إِلَيْها وعِندَها، وعن إيقادِ المَصابيحِ عَلَيْها، وأَمَرَ بِتَسْوِيَتِها، ونَهَى

---

١ الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٠/ ٣٨)

٢ ابن حجر الهيثمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر [١: ١٢٠].

٣ روح المعاني للألوسي [٥: ٣١].

٤ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم [٣: ٢٢] بتصرف.

٥ تشريفها: أي رفعها عن الأرض.

عن اتِّخاذِها عيدًا، وعن شَدِّ الرِّحالِ إِلَيْها، لِئَلّا يَكُونَ ذلك ذَريعَةً إِلَى اتِّخاذِها أَوْثانًا والإِشْراكِ بِها، وحَرَّمَ ذلك على مَن قَصَدَهُ، ومَن لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ قَصَدَ خِلافَهُ سَدًّا لِلذَّريعَةِ"[١]، فالكراهية مصدرها خوف فتنة تعظيم المخلوق، كما ذكر ذلك الشافعي، وغيره من سائر أئمة المسلمين، وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها؛ لأنه حينئذ يسجد لها الكفار، فنهى عن ذلك، لما فيه من المشابهة لهم، وإن لم يُقصد السجود إلا للواحد المعبود.

فكيف بالصلاة في المساجد التي على القبور؟! ومن هنا جاءت صلاة الجنازة بغير سجود سدا للذرائع حتى لا يعتقد أحد أننا نسجد لغير الله.

٥. رأي ابن تيمية ومناظرته.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "لما قَدِمت القاهرة اجتمع بي بعض فضلاء الرهبان، وناظرني في المسيح ودين النصارى، حتى بينت له فساد ذلك، وأجبته عما يدعيه من الحجة، وبلغني بعد ذلك أنه صنَّف كتابًا في الرد على المسلمين، وإبطال نبوة محمد ﷺ، وأحضره بعض المسلمين، وجعل يقرؤه عليَّ لأجيب عن حجج النصارى وأبين فسادها، وكان من أواخر ما خاطبت به النصراني، أن قلت له: أنتم مشركون، وبينت من شركهم ما هم عليه من العكوف على التماثيل والقبور وعبادتها، والاستغاثة بها، فقال لي: نحن ما نشرك بهم ونعبدهم، وإنما نتوسَّل بهم، كما يفعل المسلمون إذا جاءوا إلى قبر الرجل الصالح، فيتعلقون بالشباك الذي عليه، ونحو ذلك، فقلت له: وهذا أيضًا من الشرك، وليس هذا من دين المسلمين، وإن فَعَله الجهال؟ فأقر أنه شرك، حتى أن قسيسًا كان حاضرًا في هذه المسألة، فلما قرأها قال: نعم، على هذا التقدير: نحن مشركون، وكان بعض النصارى يقول لبعض المسلمين: لنا سيد وسيدة، ولكم سيد وسيدة، ولنا السيد المسيح والسيدة مريم، ولكم السيد الحسين والسيدة نفيسة"[٢].

إن بناء المساجد على المقابر ليس من دين الإسلام، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ واتفاق أئمة الدين، بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد، سواء كان ذلك ببناء المسجد عليها، أو بقصد الصلاة عندها، بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك، وأنه ليس لأحد أن يقصد

١ إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٣: ١٥٢

٢ من كلام ابن تيمية نقلا عن رأس الحسين تحقيق ودراسة الدكتور السيد الجميلي ١٩٢

الصلاة عند قبر أحد، لا نبي ولا غير نبي، "وكل مَنْ قَالَ: إنَّ قَصْد الصلاة عند قبر أحد -أو عند مسجد بُنِي على قبر، أو مشهد، أو غير ذلك- أمر مشروع، [بحيث يَسْتَحِب ذلك، ويكون عنده أفضل من الصلاة في المسجد الذي لا قبر فيه]، فقد مرق من الدين، وخالف إجماع المسلمين، والواجب أن يُستتاب، بل ليس لأحد لأن يصلي في المساجد التي على القبور، ولو لم يقصد الصلاة عندها"[١].

٦. رأي الشيخ سيد سابق.

يقول الشيخ السيد سابق في فقه السنة بعد أن نقل رأي الإمام الشوكاني: "فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رُزء[٢] للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي مُنْكَر يجب إنكاره، إن لم يكن إنكارا لهذا الشرك البين الجلي؟!

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في الرماد

وقد أفتى العلماء بهدم المساجد والقباب التي بنيت على المقابر، وقال ابن حجر في الزواجر: وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التي على القبور، إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ؛ لأنه نهى عن ذلك، وأمر بهدم القبور المشرفة، ويجب إزالة كل قنديل، أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونذره"، ويستشهد الشيخ سيد سابق بفتوى علماء المسلمين في عهد الملك الظاهر حين عزم على هدم كل ما في القرافة من البناء، فاتفق علماء عصره على أنه يجب على ولي الأمر هدم ذلك كله، وهذه الفتوى يعرفها أهل العلم.

انتهى كلام الشيخ سيد سابق. ومن المحزن حقا إذاعة مواعظ العلماء من سرادقات الموالد، فبدلا من استخدامنا للإعلام المرئي والمسموع في تعريف الناس بحقائق دينهم، يأتي علماء يشاركون في الموالد والسرادقات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١ الفتاوى الكبرى لابن تيمية المجلد الرابع

٢ الرُزء: أي المصيبة.

الفصل الرابع

حقيقة المودة في القربى

إن الكارثة كل الكارثة في أمثال خليفة السيد البدوي، فلو شاع العلم الصحيح ما ذهب أحد إلى الضريح، ولبحث لنفسه عن وظيفة أخرى يعيش منها من كسب حلال، فالرجل يحلل كل هذه الموبقات ويستدل على ذلك كما يفعل كثير من الصوفية بقوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْـمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى-٢٣]، فيقول: "المودة في القربى أي مودة شجرة النبي ﷺ. وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي"، ولو أن الخليفة رجع إلى العلم الصحيح، لأدرك المعنى الصحيح، الذي أخرجه البخاري، عن طاوس، عن ابن عباس، أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْـمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، فقال سعيد بن جبير: قربى محمد [وفي رواية قرابة محمد]؛ فقال ابن عباس: «عَجِلْتَ ! إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فنزلت: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْـمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة»[١]، ويقول الشعبي: أكثر الناس علينا في هذه الآية، فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عنها؛ فكتب أن رسول الله ﷺ كان أوسط الناس في قريش، فليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده؛ فقال الله له: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْـمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، إلا أن تودوني في قرابتي منكم؛ وتراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني في "القربى" ها هنا قرابة الرحم؛ كأنه قال: "اتبعوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة". وقال عكرمة: "وكانت قريش تصل أرحامها، فلما بُعِثَ النبي ﷺ قطعته، فقال: «صلوني كما كنتم تفعلون»".

فالمعنى على هذا: قل لا أسألكم عليه أجرا لكن أذكركم قرابتي؛ ويؤكد صحة هذا التفسير أن سورة الشورى مكية. ولم تكن مودة شجرة النبي ﷺ وآل بيته - بالمعنى الذي نعرفه الآن - مطلبا في أول الدعوة، وقت نزول سورة الشورى، خاصة أن الحسن والحسين رضي الله عنهما ولدا بعد الهجرة بسنوات.

---

١ حديث ابن عباس موقوف أخرجه البخاري في المناقب ٣٢٣٦ وفي تفسير القرآن سورة الشورى، والترمذي ٣١٧٤، وأحمد ١٩٢٠

الفصل الخامس

أهل الكهف والقبور

كثير من الناس يقول لك يا أخي إن القرآن الكريم يحدثنا عن أصحاب الكهف وكيف اتخذ الناس على قبورهم مسجدا؟ فكيف تنهانا أنت عما أمر القرآن به؟ والأمر هنا غاية في اللبس والاختلاط، للأسباب الآتية:

١. لا يجوز شرعا الميل عن سنة النبي الخاتم ﷺ استنادا على فعل أمة من الأمم السابقة، فنحن مأمورون باتباع محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء، فديننا كامل ودين خاتم، أرسى كل الأمور بشكل تفصيلي وواضح، ولن نحتاج للرجوع إلى غيره، ومن هنا رفض النبي ﷺ فعل عمر بن الخطاب حين رآه يقرأ التوراة، وقال قولته المشهورة: ﴿والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني﴾، وبهذا أخبر الحق تبارك وتعالى جميع الأنبياء حين أخذ عليهم العهد والميثاق بالإيمان بالنبي الخاتم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران-٨١] فأتباع موسى عليه السلام من اليهود، وأتباع عيسى عليه السلام من النصارى مطالبون بترك ما هم فيه واتباع شرع النبي ﷺ وليس العكس. فكيف يستدل المسلمون اليوم بأفعال اليهود، أو النصارى، كأن رسول الله ﷺ أمرنا باتباعهم؟ إنه لمن المحزن حقا أن يتناسى مسلمو اليوم تحذير النبي ﷺ ونهيه، ويتجاهلوا لعن النبي ﷺ لمن يفعل ذلك.

٢. إن تحريم القبور أصل من أصول دين الله تعالى الذي بعث به كل الأنبياء والمرسلين، لذلك وقع تحذير الأنبياء لأقوامهم منه، فاليهود والنصارى يعرفون من أنبيائهم أن الأضرحة محرمة، وفاعلها ملعون، ولو كانوا لا يعرفون ذلك لكان هذا نقص في تبليغ موسى وعيسى عليهما السلام لما أرسلهما به الله، ونحن أمة الإسلام نشهد أنهما وجميع الأنبياء قد أدوا الأمانة وبلغوا رسالات ربهم، لذلك نرى المعاصرين لحادثة أهل الكهف، انقسموا في الرأي إلى فريقين، فريق رأى ما يراه الأنبياء فيما يتعلق بالدفن

وسننه، وفريق أفتى بالغلو في شأن أهل الكهف، فقالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف-٢١].

٣. والقرآن الكريم حين ينقل لنا القصة بأسلوبه البياني الرائع، يخبرنا أن نزاعا وقع بين الناس، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ [الكهف-٢١] فالتنازع بين فريقين، الفريق الأول: يرى أنه لا داعي لنقلهم إلى المقابر بل يجب أن يدفنوا حيث ماتوا وهذه سنة الله مع الأنبياء، وذلك بسد فوهة الكهف عليهم بينما يرى الفريق الآخر أن يتخذوا عليهم مسجدا، ويحدد القرآن أيضا أن الفريق الثاني القائلين باتخاذ المسجد عليهم، وإن كان عددهم قليل إلا أنهم هم الزعماء والكبراء أصحاب القرار، يقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف-٢١]، فكأن الآية القرآنية لا تُشرع لنا بناء المساجد على القبور، وإنما تقص علينا ما كان من أحداث وقعت منذ مئات السنين لا دخل للتشريع فيها.

٤. ومن الثابت والمعلوم من الدين بالضرورة أن قصص صالحي الأمم السابقة التي رواها القرآن الكريم، للموعظة والاعتبار وليست للاتباع والاقتداء، أما الهدي فهو مقصور على ما تلقيناه عن سيد الأنبياء وخاتم المرسلين ﷺ.

الباب الثاني

الحالة السياسية

في عهد الحسين رضي الله عنه

١. معاوية يختار يزيد وليا لعهده

٢. منظومة الحكم في الفكر الإسلامي

٣. حكم طلب الإمارة

٤. موقف الحسين من بيعة يزيد

٥. نصح الصحابة والتابعين للحسين

٦. مقتل الحسين رضي الله عنه

٧. تفسير موقف الحسين

٨. تتبع موكب رأس الحسين رضي الله عنه

الفصل الأول

معاوية يختار يزيد وليا لعهده

رأى معاوية بصفته خليفة للمسلمين أن يولي ابنه يزيد بعده - ونحن ننكر عليه ذلك - فقد فتح بذلك باب الملك العضوض[١] إلى يوم القيامة، كما أخبر بذلك رسول اللّـه ﷺ، وكانت حجته أن النبي ﷺ لم يصرح ببيعة أحد بعده، وإن كانت الدلائل والشواهد تؤكد أن أبا بكر هو اختيار النبي ﷺ للخلافة، ثم استخلف أبو بكر عمرَ، ثم اختار عمرُ ستةً من الصحابة، وعهد إليهم اختيار واحد منهم، واشترط عليهم أن يتفقوا عليه، درءا لانقسام المسلمين، ولم تمهل الأحداث عثمان بن عفان حتى يستخلف من بعده، ثم تولى علي الخلافة وحدث ما حدث من أمر التحكيم والفتنة، ثم تولاها معاوية بعد استشهاد أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب، ولقد تمرس معاوية في الخلافة، فقد ظل أميرا على الشام لعقدين من الزمان، ثم عاش مثلها خليفة للمسلمين، وما أن استقر الأمر له، حتى اختار ولده يزيد خليفة له، بل وأعده لذلك، ثم عهد إليه قائلا: "يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطّأت لك الأشياء، وذلّلت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد، فانظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، وأَكْرِم من قَدِمَ عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عاملٍ أيسر من أن يُشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن رابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم، وإني لست أخاف عليك أن ينازعنك في هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش: "الحسين بن علي، وعبد اللّـه بن عمر، وعبد اللّـه بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأما عبد اللّـه بن عمر فرجل قد وقذته [شغلته] العبادة، وإذا لم يبقَ أحد غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فهو رجل خفيف، فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يُخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به، فاصفح عنه، فإن له رحما ماسّة وحقا عظيما، وأما ابن أبي بكر فليست له هِمَّة إلا في النساء واللّـهو، فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا

---

١ ملك عضود: أي فيه عَسْف وظلم.

صنع مثلهم، وأما الذي يجثم جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك، فقدرت عليه فقطعه إربا إربا، واحقن دماء قومك ما استطعت"[1].

رغم أننا ننكر على معاوية توليته لولده يزيد، وفي المسلمين يومئذ من هو أصلح وأفضل منه، إلا أننا في نفس الوقت نشهد له بقدرته المتميزة على إدارة شئون الحكم، وقيادة البلاد، وسياسة العباد، ومعاوية من القلة المعدودة ضمن أفضل القادة في العالم، وشعرة معاوية معروفة، ومحافظته عليها أصبحت ميزانا يعرف به مدى نجاح ساسة العالم البارزين، لن ترى في التاريخ كله من كانت رعيته أطوع له من معاوية، والمتأمل لكلامه يدرك عمق حكمته وبصيرته ودرايته بكوامن نفوس الأفراد والشعوب، وليس من الغريب أن يتوقع تصرفات منافسي يزيد، فيقع الأمر كما أخبر وبدقة كبيرة، ومن هنا كان معاوية من أنجح الحكام على مدار التاريخ الإنساني، والأمة الإسلامية اليوم تحتاج من بين قادتها إلى معاوية بسياسته ودهائه وفطنته، وإلى عمر بن الخطاب بعدله وزهده وبصيرته رضي اللَّـه عنهما وعن الصحابة أجمعين.

أما يزيد بن معاوية فقد آلت له مقاليد الأمور، ثم هلك ومات، وترك تصرفات يقضي فيها الحق تبارك وتعالى، شأنه في ذلك شأن كل حاكم، أجاد في بعض أمور، وأساء في أخرى، ويلخص لنا ابن تيمية تقييمه ليزيد قائلا: "ويزيد بن معاوية قد أتى أمورًا منكرة منها: وقعة الحرّة، وفي الحديث المتواتر عن النبي ﷺ، أنه قال:﴿المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا، من أحدث فيها حدثًا، أو آوى مُحـدِثًا فعليه لعنة اللَّـه والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل﴾[2]، ولهذا قيل للإمام أحمد: أتكتب الحديث عن يزيد؟ فقال: لا، ولا كرامة أوليس هو

---

١ تاريخ الطبري ٥: ٣٢٢، والمنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي ٥: ٣٢٠، والكامل لابن الأثير ٣: ٢٥٩

٢ أحاديث حرمة المدينة متواترة رواها جمع غفير من الصحابة أما حديث علي بن أبي طالب متفق عليه أخرجه البخاري ١٧٣٧، ومسلم ٢٤٣٣، وأحمد ٥٦٥، والترمذي ١٣٣٢، والنسائي ٤٦٥٣، وأبو داود ٣٩٢٧، وابن ماجه ٢٦٤٨، والدارمي في سننه ٢٢٥٠ وله شواهد من حديث أبي هريرة متفق عليه أخرجه البخاري ١٧٤٠، ومسلم ٢٤٣٥،وأحمد ٦٩٢٠، والترمذي ٣٨٥٦، ومالك في الموطأ ١٣٨٣، وكذا حديث أنس بن مالك متفق عليه أخرجه البخاري ١٧٣٤، ومسلم ٢٤٢٩، وأحمد ١٢٥٩٠، وفي الباب عن ابن عباس، وابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد اللَّـه، وسهل

الذي فعل بأهل الحرّة ما فعل؟ وقيل له: إن قومًا يقولون: إنا نحب يزيد، فقال: وهل يحب يزيد أحد يؤمن باللَّـه واليوم الآخر؟ فقيل: فلماذا لا تلعنه؟ فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحدًا؟

ويزيد لم يُظْهِر الرِّضا بقتل الحسين، وإنما أظهر الألم لقتله، واللَّـه أعلم بسريرته، وقد علم أنه لم يأمر بقتله ابتداء، لكنه مع ذلك ما انتقم من قاتليه، ولا عاقبهم على ما فعلوا، إذ كانوا قتلوه لحفظ ملكه - ولو قاموا بالواجب في الحسين وأهل البيت ﷺ - ولم يظهر له من العدل وحسن السيرة ما يوجب حمل أمره على أحسن المحامل، ولا نقل أحد أنه كان على أسوأ الطرائق التي توجب الحد، ولكن ظهر من أمره في أهل الحرَّة ما لا نستريب أنه عدوان محرم، وكان له موقف في القسطنطينية - وهو أول جيش غزاها - ما يعد من الحسنات". انتهى كلام ابن تيمية.

إن الإسلام يدعونا للتركيز على مصلحة الأمة، ولا ينشغل ببريق الزعامات، فليس المهم من يحكم؟ وإنما الأهم: كيف يحكم؟ وبماذا يحكم؟ كما أن تقييم القادة يكون وفق النتائج النهائية التي توصلوا إليها بالطرق الشرعية، ولابد لنا من وقفة نتناول فيها منظور الإسلام للسياسة الشرعية، وليتمهل القارئ رويدا قبل أن يحكم على أهمية ما سنتناوله في الفصل التالي، فإلى هناك.

بن حنيف، والسائب بن خلاد، وتميم بن عبد، ورافع بن خديج، وزيد بن ثابت، وأبي قتادة الحارث بن ربعي، وعبادة بن الصامت، وفاطمة بنت قيس.

الفصل الثاني

منظومة الحكم في الفكر الإسلامي

أولا: الإسلام والديمقراطية الغربية.

يتهم خصوم الإسلام - خاصة المبهورون بالغرب وحضارته المادية - بعدم وضوح رؤيته في النواحي السياسية، خاصة فيما يتعلق بأسلوب اختيار الحاكم، وسياسة انتخابه، وهو ما يعرفونه حاليا بالديمقراطية، وبالتالي يستغلون عدم تقديمنا لبعد نظر الفكر الإسلامي في تلك القضية، فلا يكتفون بسلبياتنا بل يطالبوننا بتطبيق أسلوبهم في سياسة أوطانهم، وفي نفس الوقت تتهمنا الشيعة بالتفريط في إمامة الأئمة.

والحقيقة أن الأمر غاب عنهما، لعدم دراستهم للفكر الإسلامي المتكامل، فسياسة الدول في الغرب تعتمد على حرية اختيار شخص الحاكم، وإذا حددنا حديثنا في قمة الحضارة الغربية في زمننا هذا، وبالتحديد في الولايات المتحدة الأمريكية، فنجد حزبين كبيرين يتنازعان السلطة: الجمهوريين والديمقراطيين، وينفق كل منهما ملايين الدولارات كل بضع سنوات في انتخابات الرئاسة الأمريكية، ويستخدمون خلالها أحدث طرق تسويق الأفراد، وتجميلهم، وصقل أقوالهم، وجمال صورتهم، مع برامج وخطط تحدد أهداف كل مرشح منهم، ثم يُدعى الناس إلى الاقتراع، فترجح كفة واحد منهم؛ ليتولى إدارة البلاد، كما يرشح الحزب من يمثله في مجلسي النواب والشيوخ، وكلما زادت أغلبية أعضاء حزب معين من الأحزاب داخل المجلس، كلما سهل تمرير القرارات، وتحريك السياسات، وقد سخر بعضهم من الديمقراطية، قائلا: "قد تهدر أصوات أغلبية جاهلة، رأي خبير في مجال لا يعرفه غيره"، وهذا ما تعانيه برلمانات الدول المتخلفة، حيث تكون الغلبة لكثرة بالكاد تعرف القراءة والكتابة، تصوت على أفكار وخطط وبرامج مختصين على أعلى مستويات التخصص، وإذا اعترضت قالوا لك: يا كافر بالديمقراطية يا عدو الإنسانية.

أما الشعب الأمريكي فهو خارج الساحة تماما، كل ما هو مطلوب منه أن يذهب كل فترة رئاسة ليدلي بصوته، وأيضا لاختيار ممثلي الأحزاب في التجديد الدوري لأعضاء المجلسين، فإذا فعل ذلك فقد أدى ما عليه، والباقي كله على الحزب بأجهزته المختلفة، والدولة بإداراتها

المتعددة أن تتحرك في اتجاه الدفاع عن الرئيس، بينما خصومه يتربصون به ويظهرون أخطاءه، ليس حبا فيه أو بغضا له، وإنما حتى يحلوا محله في الانتخابات القادمة، وما أن ينجح رئيس حتى تبدأ عجلة الحياة في الدوران، وما أن تقترب موعد الانتخابات، فلا تتحرك السياسات انتظارا لما ستسفر عنه الانتخابات، وكأن الفكر السياسي في المجتمع الأمريكي يسخر جميع طاقاته لخدمة الرئيس.

أما الشعب الأمريكي فلا يدري من أمور الدنيا أي شيء، ولقد سمعنا بعض المواطنين الأمريكيين يسألوننا: هل السعودية محافظة من محافظات مصر؟ وآخرين لا يعلمون أين تقع على الخريطة معظم دول العالم، ولقد شاهدنا في التليفزيون الأمريكي في نشرة أخبار النبأ الأول عن سيدة أسرعت إلى عيادة طبيب بيطري لعلاج كلبها من نوبة إسهال ألمت به، وكيف أن الكلب مات بعد أن دخل إلى العيادة بدقائق، ونشاهدها وأضواء الكاميرات تشع من حولها وهي تبكي، والطبيب يدافع عن نفسه بأنه حاول جاهدا وبذل أقصى ما في وسعه، إلا أن الكلب مات، ودقائق تمر والكاميرات تنقل الحدث على الهواء، وتنتقل من البيت إلى العيادة إلى المرأة الثكلى، ثم الطبيب المنهار، ثم يأتي بعد عدة أنباء نبأ عن مقتل عدة أشخاص هنا أو هناك في خبر لا يتجاوز ثلاثين ثانية على الشاشة.

إن مسيرات الاعتراض على غزو العراق جابت الدنيا بأسرها، ولم يتحرك دعاة الديمقراطية والمنادون بخدمة الشعوب وتحقيق مصالحها في إيقاف بلدوزر الحرب، إن رئيس الولايات المتحدة وإنجلترا يكذبون على شعوبهم، وعلى دول العالم، فيستخدمون تقارير المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية، ويحذفون منها ويضيفون عليها، ويحدثون الناس أن لديهم معلومات استخباراتية تؤكد صواب ما يتخذونه من قرارات، وعبثا حاول مجلس الأمن أن يوقف إشعال الحرب دون جدوى، ثم تسير الخطط، وينزلون إلى أرض الواقع، فلا أسلحة دمار شامل، ولا زهور في انتظارهم، ولا ترحيب بالمحررين للشعوب من أغلالها، ثم يواجهون بالمقاومة ضد الاحتلال، وهنا تستخدم المصطلحات التي أرسوا دعائمها منذ سنوات قليلة، فالإرهاب هو أُم الأهداف التي يقصدونها، وما الإرهاب عندهم سوى الإسلام، فكيف يواجهونه؟ هل يستخدمون الرأي والحوار؟ وهل يقيمون وزنا لحقوق الإنسان؟ وكم كان الجواب واضحا في سجن أبي غريب، حيث الحرية مكفولة للمعتقلين!،

وحقوق الإنسان تاج على رأس الإمبراطورية الأمريكية القادمة! وكم شاهدنا المعاملة الحسنة اللطيفة خاصة من المجندات الأمريكيات سليلات العزة والكرامة، الماجدات شديدات الحياء!، وهذه هي منظومة الفكر الغربي الديمقراطي، لا مكان فيها للقيم ولا للأخلاق، وما سمعنا أحدهم يتحدث عن الآخرة وثواب المحسن، وعقاب المسيء، فالحاكم الصالح في الفكر الرأسمالي المادي هو من يفتح أكبر قدر من القلاقل والأزمات في أرجاء المعمورة، فتصدير الأزمات، هو أفضل تسويق لمصانع الأسلحة، وأكبر جذب للعمالة، وانخفاض معدلات البطالة، وكلما أفسدوا في الأرض، كلما ارتفع الدولار، وتشدقوا بانتخابات براقة خاطفة لأبصار السذج من الأدعياء، وإذا أراد رئيس أمريكي واحد أن يعود إلى موازيين الأخلاق، ويوقف نزيف الدماء في العالم، فجون كنيدي أمامه ماثل في أذهانهم، وهم جميعا يدركون أن من قتله هم أجهزة الدولة وأصحاب المصالح مجتمعين، ففرد واحد لا قيمة له، وأول قرار اتخذه ليندون جونسون هو استمرار الحرب، ويمكن تلخيص مآخذنا على الديمقراطية فيما يلي:

- الوصول إلى كرسي الرئاسة هو الغاية المرجوة من النظام الديمقراطي.
- الاهتمام بالفرد، وإعطاؤه نسبة مشاركة هامشية في إتخاذ قرارات البلاد.
- استيلاء الأحزاب، التي يديرها مجموعة مصالح تخدم فئات معينة.
- ولاء الأفراد للحزب، وصراع الأحزاب على الحكم.
- تساوي وزن وقيمة آراء أعضاء البرلمان، والغلبة في النهاية لعدد الموافقين.

ثانيا: عناصر منظومة الحكم في الفكر الإسلامي.

وللإسلام شأن آخر، والاختلاف الجوهري بين النظامين أن الإسلام لا يركز على شخص الحاكم كعمود للرحى، وعلى جماعة المسلمين أن تختار ولي الأمر، وعليه أن يدرك ثقل هذه المسئولية ليس في الدنيا كما يتحدث الجميع، وإنما في الآخرة، فالحاكم مسئول عن كل شيء تحت ولايته وإدارته، حتى الشاة في أقصى دولته، يسأل عنها لم لم يمهد لها الطريق، وكلما أدرك الحاكم المسلم أن الإمارة مغرما لا مغنما، لأيقن أنها حسرة وندامة، وحساب عسير، ومثول طويل بين يدي الواحد الديان، وهذا عمر بن الخطاب يرفض تعيين ولده عبد الله بن عمر ، قائلا: يكفي واحدا من آل الخطاب يسأل عن الأمة يوم القيامة، فالأمانة التي أشفقت منها الجبال، يكون

خطرها عند الحاكم مضروبا في عدد رعيته، ولهذا لم يضع الإسلام شروطا ومواصفات للحاكم المسلم، ولم يهتم بطريقة وصوله إلى كرسي الحكم من بين الطرق الآتية:

١. الاختيار المباشر: وله مثالين يجمعهما أمر واحد هو انفراد الشخص المختار بتكامل عناصر الشخصية القيادية، وحرصه الكامل على الأمة، وقد تحقق هذا الاختيار مرتين:
- اختيار النبي ﷺ لأبي بكر الصديق، وعبر عن هذا الاختيار في العديد من الأحاديث الصحيحة المتفق عليها بين أهل السنة.
- اختيار الصديق لعمر بن الخطاب.

٢. اختيار مجموعة ينتخبون فيما بينهم خليفة عليهم: وهذا أسلوب ينبغي اتباعه عند توافر شروط القيادة والزعامة في أكثر من شخص، بحيث يكون تفضيل أحدهم مدعاة لإنكار الآخرين - وهنا نخشى من انقسام الأمة- وهذا الأسلوب اتبعه عمر بن الخطاب.

٣. اختيار الأمة لرجل منها: وهذا أسلوب ناجح في حالة انفراد شخص بفضائل تقدمه على غيره، وبهذا انعقدت البيعة لعلي بن أبي طالب.

وطرق تولي الخلافة لا تنحصر في هذه الطرق وحدها، وإذا ابتكر الناس طريقة جديدة للوصول إلى حاكم لهم، فلا يعكر الإسلام صفو اختيارهم، حتى لو غصب شخص الخلافة واستولى عليها بعد موت حاكم، فلا بأس طالما انعقدت له البيعة، واستقام له الأمر، وإذا توصل المسلمون اليوم إلى أسلوب اختيار حاكم من بين أحزاب ترشح أفضل عناصرها فلا بأس من الاقتراع بينهم والوصول لمن له أغلبية الأصوات.

بعد أن فرغنا من اختيار شخصية الحاكم، هنا تبدأ منظومة الفكر الإسلامي تظهر في أسلوب إدارة البلاد:

١. الناس في الإسلام سواسية كأسنان المشط، لا فضل لغني على فقير، ولا قرشي على حبشي، ولا سيد على عبده ومواليه، ولا فرق بين حاكم ومحكوم، فالجميع لهم نفس الحقوق، وعليهم نفس الواجبات، وأكرمهم عند الله أتقاهم.

٢. أن الحياة الدنيا ليست دار مقر تعامل وحدها معاملة مستقلة، وإنما هي مرحلة يعقبها حساب وثواب وعقاب، وأن كل نفس بما كسبت رهينة، وعلى المسلمين أن يعملوا وكل

مسئول عن عمله، وأن ملائكة الرحمن يسطرون الأعمال، ويسجلونها، وسيراها الطائع والطالح بالصوت والصورة يوم القيامة، وأفضل أهداف الدين مكارم الأخلاق، وليست الأخلاق تعليمات تنفذ بين أفراد المجتمع الواحد، وإنما هي منظومة فكرية تحكم العلاقة على مستوى الدول وحسن الجوار، وتضمن حقوق الفرد في المجتمع الإسلامي مهما كانت انتماءاته وعقيدته.

٣. الحكم مسئولية كل أفراد الأمة، لا تلقى على كاهل شخص، أو مجموعة أشخاص، فلقد وصف النبي ﷺ الدين الإسلامي في كلمتين لا ثالث لهما، فعن أبي هريرة، قال: ﴿قال رسول اللّـه ﷺ: الدين النصيحة ثلاث مرار، قالوا: يا رسول اللّـه لمن؟، قال: للّـه ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم﴾[١].

٤. لا خير في الحكام إن لم يسمعوا نصح الرعية، ولا خير في الرعية إذا لم يسدوها للحكام، ولا يخشى المسلم على نفسه من ضرر أو جور الحكام، ففي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: ﴿أفضل الجهاد: كلمة حق عند سلطان جائر﴾[٢]، فمن قتل في سبيل اللّـه سيلقى اللّـه ﷻ وهو شهيد، وقد وجبت له الجنة.

٥. ليس للحاكم أن يختص نفسه بمكاسب شخصية من وراء قيادته لأمته، فيلقى اللّـه ﷻ غاشا لرعيته، وقد حرم اللّـه ﷻ على الأنبياء الغلول[٣]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

٦. الشورى مبدأ إسلامي أصيل، أمر به رب العالمين في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾، وفي القرآن الكريم سورة الشورى، ومبدأ الشورى مبدأ طبقه رسول اللّـه ﷺ في كل وقت، خاصة في الملمات من الأمور: "غزوة بدر، في اختيار مكان المعركة، ثم في قضية

---

١ حديث تميم الداري أخرجه مسلم ٨٢، والنسائي ٤١٢٦، وأبو داود ٤٢٩٣، وأحمد ١٦٣٣٢، وحديث أبو هريرة أخرجه النسائي ٤١٢٨، والترمذي ١٨٤٩ وقال: حديث حسن صحيح وفي الباب عن وجرير وحكيم بن أبي يزيد عن أبيه وثوبان وابن عمر

٢ حديث أبو سعيد الخدري رواه ابن ماجة، وحديث أبو أمامة رواه أحمد وابن ماجه والطبراني والبيهقي، وحديث طارق بن شهاب أخرجه أحمد والنسائي والبيهقي

٣ الغلول: ما يؤخذ من الغنيمة خفية قبل قسمتها.

الأسرى، ثم هل يقاتل في المدينة أم خارجها يوم أحد؟، ويوم غزوة الخندق، حتى في أموره الشخصية يوم حادثة الإفك، يومها خطب الناس قائلا: أشيروا علي،.. والأمثلة أكبر من أن تستقصى في هذه العجالة، وعلى المستشار أن يخلص النية في مشورته؛ ولذلك جاء في الحديث الشريف: ﴿المستشار مؤتمن﴾.

٧. المسئولية موزعة على أعضاء المجتمع، وليست محصورة في فئة، فهناك تكليف شرعي لجمهور الأمة: ﴿كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته﴾، فالمسئولية موزعة بشكل هرمي، والشورى من ضمن مسئوليات الجميع، والمسلم في مجتمعه لا ينصرف ولاؤه للحزب، وإنما ولاؤه للّـه ﷻ.

٨. ليس لمسئول أن يغش رعيته، فله سوء العاقبة في الدنيا والآخرة، لقوله ﷺ : "من غشنا فليس منا"، وأيما والٍ بات غاشًّا لرعيته، حرم اللّـه عليه الجنة.

٩. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سياسة إسلامية أصيلة، وهي عامل حاسم يساند توزيع المسئولية، فكان من المنطقي أن يسمح لأعضاء المجتمع بالمبادرة لإصلاح الأمور على مستوياتها المتعددة حتى لا تتفشى المنكرات ويعسر التغلب عليها.

١٠. محاربة انتشار الفاحشة: يتخذ الإسلام موقفا فريدا ليس ضد من أشاع الفاحشة في المجتمع، وإنما مجرد حب إشاعة الفاحشة يدخل صاحبها تحت وطأة العذاب الأليم، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور-١٩]

١١. الإسلام يرفض سلبية أتباعه، فقد تقرر فيه أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، وأكد على قول الحق ولو كان مُرًّا، كما ورد في الحديث الشريف.

١٢. لا إكراه في الدين، فالإسلام لا يبحث عن كثرة الأتباع ، وإنما يبحث عن إعلاء كلمة اللّـه في النفوس البشرية، من آمن بحقائق الإيمان في الإسلام، فأهلا وسهلا بتوفيق اللّـه له على التمسك بالدين، ولا مكان فيه للمنافقين، الذين يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر والجحود، ولهذا يبشرهم القرآن بالدرك الأسفل من النار.

١٣. مكانة العلم، والفقه فيه، فالعلم مسطور في الكتب، والأهم هو الفقه فيه، ومعرفة الأنسب لكل زمان ومكان، وما هو الأليق في كل حال، بمعنى اسقاط الأحكام الشرعية على أحوال الرعية، بما لا يسبب لهم الحرج في الدين، أو يكلفهم ما لا يطيقون.

١٤. أن الحدود سياسة هدفها ردع المجاهرين بالمعاصي والكبائر، وأن على الحاكم أن يدرأ الحدود عن المسلمين ما وجد إلى ذلك سبيلا، وأن إقامة الحد في صورتها البهية تكون عندما يعترف المخطئ بما فعله بنفسه طلبا للتوبة، وطهارته من الذنب، وبالتالي ينهى الإسلام عن تتبع عورات المسلمين، فمن فعل ذلك تتبع اللّـه عورته يوم القيامة، وكشفه على رءوس الأشهاد.

١٥. السمع والطاعة لقرار الحاكم، وليس لأحد الاعتراض عليه، ، فإن الإسلام أمر الرعية بالسمع والطاعة له -حقنا لدماء المسلمين وتوحيدا لصفهم، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ﴿اسمعوا وأطيعوا، وإن استُعمِل حبشي كأن رأسه زبيبة﴾[Č]، وعنه ﷺ أنه قال: ﴿السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة﴾[Ď]، وعنه ﷺ أنه قال: ﴿من أطاعني فقد أطاع اللّـه، ومن عصاني فقد عصى اللّـه، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جُنَّة [أي وقاية]، يُقاتَل من ورائه، ويُتقى به، فإن أمر بتقوى اللّـه وعدل فإن له بذلك أجرا، وإن قال بغيره فإن عليه منه﴾[d]، فالحاكم رمز الأمة، ووجوده حماية لأبنائها ووقاية لهم، وبطاعته تنعقد كلمتهم جميعا، فإن أحسن فله أجر عمله، وإن أساء فحسابه عند ربه، وليست إساءته ذريعة للخروج عليه، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: ﴿كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء

---

١ حديث أنس بن مالك أخرجه البخاري ٦٥٢، وابن ماجه ٢٨٥١، وأحمد ١١٦٨٣

٢ حديث عبد اللّـه بن عمر متفق عليه أخرجه البخاري ٢٧٣٥، ومسلم ٣٤٢٣، وأحمد ٤٤٣٩، والترمذي ١٦٢٩، وأبو داود ٢٢٥٧، وابن ماجه٢٨٥٥

٣ حديث أبي هريرة أخرجه البخاري ٢٧٣٧، ومسلم ٣٤١٧، وأحمد ٧٠٣٢، والنسائي ٤١٢٢، وابن ماجه ٢

فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا[1] ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم فإن اللّـه سائلهم عما استرعاهم﴾[2].

١٦. إن الإسلام يرفض الخروج على الحاكم، فعن عرفجة بن شريح الأشجعي، قال: سمعت رسول اللّـه ﷺ يقول: ﴿من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه﴾[3]، وفي رواية النسائي: قال النبي ﷺ: ﴿إنه سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد يُفَرِّق أمر أمة محمد ﷺ، كائنا من كان فاقتلوه، فإن يد اللّـه على الجماعة فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض﴾، وفي النسائي أيضا: قال النبي ﷺ: ﴿إنها ستكون بعدي هنات وهنات، ورفع يديه، فمن رأيتموه يريد تفريق أمر أمة محمد ﷺ وهم جميع فاقتلوه كائنا من كان من الناس﴾، وعن أسامة بن شريك، قال: قال رسول اللّـه ﷺ:﴿أيما رجل خرج يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه﴾[4].

١٧. يحدد الإسلام وبشكل قاطع وبصورة واضحة أن من طلب البيعة لنفسه بعد انعقادها للأول فهو منازع له في الأمر، وداعٍ إلى شق الصَّدع، وانقسام الأمة؛ لذلك أمرنا الإسلام كأُمَّة بقتله، ففي إراقة دماء فرد واحد، حماية للمجتمع من الحرب الأهلية - حسب التعبير المعاصر - وفي ذلك مصلحة ما بعدها مصلحة، فهو أخف الضررين بلا ريب، يقول ابن القيم: "وقد نهى النبي ﷺ عَن قِتالِ الأُمَراءِ والخُرُوجِ على الأئِمَّةِ - وإن ظَلَمُوا أوْ جارُوا - ما أقامُوا الصَّلاةَ، سَدًّا لِذَريعَةِ الفَسادِ العَظِيمِ، والشَّرِّ الكَثِيرِ بِقِتالِهِمْ كَما هُو الواقِعُ، فَإنَّهُ حَصَلَ بِسَبَبِ قِتالِهِمْ والخُرُوجِ عَلَيْهِمْ أضْعاف أضْعافِ ما هُمْ عَلَيْهِ، والأُمَّةُ في بَقايا تِلْكَ الشُّرُورِ إلَى الآنِ"، وقالَ ابن القيم أيضا: "إذا بُويِعَ الخَليفَتانِ فاقْتُلُوا الآخَرَ مِنهُما سَدًّا لِذَريعَةِ الفِتْنَةِ"[5].

---

١ فوا فعل أمر للجماعة من وَفَى أي: التزموا ببيعتكم لهم حيث لزمكم السمع والطاعة في المعروف في المنشط والمكره.

٢ حديث أبي هريرة متفق عليه أخرجه البخاري ٣١٩٦، ومسلم ٣٤٢٩، وأحمد ٧٦١٩، وابن ماجه ٢٨٦٢

٣ حديث عرفجة أخرجه النسائي ٣٩٥٤، ٣٩٥٥، ٣٩٥٦، وأبو داود ٤١٣٤، وأحمد ١٧٥٧٩

٤ حديث أسامة بن شريك انفرد به النسائي.

٥ إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ٣: ١٧١

١٨. لا يحق للمسلم أن يعيش يوما بلا بيعة، كما أنه إذا خلع بيعته فقد ارتكب إحدى الكبائر، ونخشى عليه أن يموت ميتة جاهلية، ففي الحديث الشريف، عن النبي ﷺ، أنه قال:﴿من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية﴾[1]، وعن عبادة بن الصامت، قال: "بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من اللّـه فيه برهان"[2].

١٩. انشغال المسلم بهموم أمته، وأحوال إخوانه على مستوى العالم الإسلامي، فالمسلمون جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، ولا ننسى رد المعتصم على كلب الروم، حينما حاول أحد عسكره كشف عورة امرأة مسلمة.

٢٠. أن الأرض أرض اللّـه، والمال مال اللّـه استخلفنا فيه، ونحن نملكه مجازا، وهو سيفارقنا أو نفارقه، وسينتهي إلى غيرنا، فالعاقل من استفاد منه وحوله إلى حسنات في صحيفته، والسفيه من جعله مطيته إلى جهنم.

٢١. إن الأخلاق كيان متكامل يطبق على الجميع، فلسنا بشعب اللّـه المختار، نتعامل سويا بصورة، ونعامل الآخرين بمكيال آخر، كما أن الغايات لا تبرر الوسائل، فتلك أفكار ميكافيلية[3]، وضعها مرضى الأنفس والعقول، فالمهم عندهم مكاسبهم، ولا يهمهم بعد ذلك ما سفكوا في سبيلها من دماء الأطفال والشيوخ، أو ما حرقوا من النسل والحرث، بل إنهم لم يكترثوا مطلقا عندما أبادوا في ثوانٍ مدينتي هيروشيما ونجازاكي، وراحوا يحتسون كئوس النصر، ويرتدون ثياب الأبطال.

إن مجموعة المفاهيم السابق ذكرها تؤكد حرص الإسلام على وحدة صف المسلمين، فاجتماع كلمتهم أهم كثيرا من شخصية الحاكم وتقواه، طالما أن علماء المسلمين وأهل

١ حديث ابن عباس متفق عليه أخرجه البخاري ٦٥٣٠، ومسلم ٣٤٣٨، وأحمد ٢٣٥٧، والدارمي ٢٤٠٧

٢ حديث عبادة بن الصامت متفق عليه أخرجه البخاري ٦٥٣٢، ومسلم ٣٢٢٣، وأحمد ١٥٠٩٩، والدارمي ٢٣٤٥، ومالك في الموطأ ٨٥٣، والترمذي ١٣٥٩، والنسائي ٤٠٨٠، وابن ماجه ٢٥٩٣

٣ **نسبة لقائلها.**

الاختصاص والمشورة يعرفون كيف ينصحون بالحسنى؟ ويلفتون أنظار الحكام إلى ما فيه صالح البلاد والعباد، وتدعو هذه المفاهيم المتكاملة المسلمين للمشاركة الفعالة والبناءة في المجتمع.

واجتهاد الأمة إنما يكون في تحويل هذه المفاهيم في المجتمع الإسلامي إلى آليات تضمن وصول المشاركة والشورى وسبل نقل تلك المشاركات من القاع إلى القمة، وبذلك تحقق سياسة إسلامية تفتقر الدنيا كلها إليها، لا تعتمد على صوت الناخب كل أربع أو ست سنوات، وإنما تجعله عنصرا فعالا في كل لحظة في حياته، ليس لينال الجاه والحظوة عند الحاكم، وإنما لينال المنزلة والمكانة عند اللّـه ﷻ يوم القيامة.

يقول المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة ... بلغت من العلياء كل مكان

ونحن نعتذر للقارئ الكريم أن طال بنا الحديث في هذه النقطة، وما ذاك إلا أننا نريد أن نركز في بحثنا التالي ليس على شخصية الحاكم، بقدر ما ترتب على الانقسام من أحداث، وقد لا يعلم القارئ الكريم أن الدولة الإسلامية بعد هذه الفتن، قد تصدعت وأصبح فيها ثلاثة يطلقون على أنفسهم أمير المؤمنين:

١. عبد الملك بن مروان في الشام، وله والٍ على مصر، والآخر على البصرة.
٢. عبد اللّـه بن الزبير في الحجاز، وقد ولى أخوه مصعب بن الزبير على الكوفة.
٣. قطري بن الفجاءة في الأهواز، أمير المؤمنين المعتبر عند الخوارج، وانشق عنه شبيب الشيباني وكون جماعة من الخوارج وارتحل ما بين العراق والشام، بينما يترك المهلب بن أبي صفرة ولايته على خراسان؛ ليطارد الخوارج والقضاء عليهم. أضف إلى ذلك خروج ابن الجارود على الحجاج بن يوسف الثقفي.

إن ثمرة التنازع على الحكم، أورثت التشرذم، والانتصار للذات أو الأنساب، أما رسالة الإسلام، فهي تكليف المسلمين بنشرها ونقلها للعالمين، فإذا وجدنا عبد الملك بن مروان يتفرغ لحسم الفرقة، والقضاء على مصعب بن الزبير في الكوفة، ثم عبد اللّـه بن الزبير ويعيد الحجاز

للدولة، ثم يقضي على الخوارج، ويجمع شمل الدولة؛ لتنطلق في نشر هذا الدين، تجد التنازع والجدل وسب بني أمية مستمر حتى اليوم.

فهل يجد البيزنطيون فرصة أسنح لهم من جار تنخر الفتن والانقسامات في شرايينه؟!

الفصل الثالث

حكم طلب الإمارة

كما أن هناك قاعدة هامة حرص الإسلام على ترسيخها في نفوس المسلمين، منعا لتطلعات من يرى في نفسه الأهلية للحكم، فيزيح من أمامه كل حائل، ولا يعبأ بالدماء إذا سالت في سبيل هدفه وتحقيق مجده الشخصي، وهذه القاعدة أن من طلب الإمارة حرمها، ومن جاءته دون سعي منه أعانه اللّـه عليها؛ ففي الحديث الصحيح عن أبي موسى، قال: "دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحد الرجلين: يا رسول اللّـه أمِّرنا على بعض ما ولاك اللّـه ﷻ، وقال الآخر مثل ذلك، فقال ﷺ: ﴿إنَّا واللّـه لا نولي على هذا العمل أحدا سأله، ولا أحدا حرص عليه﴾"[1]،وقال النبي ﷺ:﴿يا عبد الرحمن بن سمرة: لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وُكِلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها﴾[2]،وعنه ﷺ قال: ﴿إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة[3] وبئست الفاطمة﴾[4]، وعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول اللّـه ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: ﴿يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من

---

١ حديث أبي موسى الأشعري متفق عليه أخرجه البخاري ٢١٠١، ومسلم ٣٤٠٢، وأحمد في مسنده ١٨٦٨٧، وأبو داود ٢٥٤١، والنسائي٤

٢ حديث عبادة بن الصامت متفق عليه أخرجه البخاري ٦٥٣٢، ومسلم ٣٢٢٣، وأحمد ١٥٠٩٩، والدارمي ٢٣٤٥، ومالك في الموطأ ٨٥٣، والترمذي ١٣٥٩، والنسائي ٤٠٨٠، وابن ماجه ٢٥٩٣.

٣ **المرضعة: أي الدنيا، والفاطمة: أي بعد الموت.**

٤ حديث عبد الرحمن بن سمرة متفق عليه أخرجه البخاري ٦١٣٢، ومسلم ٣٢٢٠، وأحمد ١٩٧٠٤، والدارمي ٢٢١٤، وأبو داود ٢٥٤٠، والترمذي ١٤٤٩، والنسائي ٣٧٢٢.

أخذها بحقها وأدَّى الذي عليه فيها﴾[1]، وعنه ﷺ أنه قال: ﴿من سأل القضاء وُكِل إلى نفسه، ومن أُجْبِر عليه يُنزل اللَّـه عليه ملكا فيسدده﴾[2]، ولو أن أتباع الجماعات الإسلامية الذين يبايعون أميرا غير حاكم البلاد أدركوا ما هم فيه من مخالفة صريحة لأحاديث النبي ﷺ ما رأينا ما نشاهده اليوم من تجاوزات، واستباحة لدماء المسلمين، ومجازر هنا وهناك في بلاد المسلمين، وهم يعصون اللَّـه تبارك وتعالى، ويطيعون أميرهم.

١ حديث أبي هريرة أخرجه البخاري ٦٦١٥، وأحمد ٩٤١٥، والنسائي ٤١٤.

٢ حديث أبي ذر الغفاري أخرجه مسلم ٣٤٠٤، وأحمد ٢٠٥٣٦.

الفصل الرابع

موقف الحسين من بيعة يزيد

لم يرضَ الحسين عن بيعة الناس ليزيد لسببين هما:

١. أن طريقة ولايته جاءت عن طريق الملك [العضوض]؛ لذا كان لا بد للحسين من رفضه فلو نظرنا له كيف تولى : ليس بالشورى وإنما ملك يورث.

٢. معرفته بشخصية يزيد وأنه ليس أهلا للولاية كما سبق ذكره من قوله: هو يزيد الذي نعرف واللّـه ما حدث له عزم ولا مروءة

وكان يرى أنه أحق بالخلافة منه، وأبيه أحق بالخلافة من معاوية، ولهذا وجد في مكاتبة أهل العراق له بالخروج أملا في تصحيح وضع غير منصف، حتى يضع الأمور في نصابها، ولا يختلف اثنان من المسلمين على أن الحسين بن علي رضي اللّـه عنهما أفضل من يزيد بن معاوية، وأنه أحق بالخلافة منه، ولكن الأمر هنا ليس اختيارا بين مرشحين في حزبين مختلفين، وإنما نظرة الإسلام مبنية على تأكيد وحدة الصف، وأن الحاكم الذي يلتزم شرع اللّـه، ويقيم حدوده وعنده من العلماء والمستشارين من ينصح له، فهو عمليا حاكم صالح للحكم.

ولهذا لم يشترط الإسلام أن يكون الحاكم أتقى رجل في المسلمين، فإدارة الدولة وحمايتها من أعدائها، ورعاية مصالح رعاياها، تحتاج من الخليفة إلى مواصفات مختلفة عن قيامه الليل وصيامه النهار، فليس كل الحكام كأبي بكر وعمر رضي اللّـه عنهما، ولا شك أن معاوية أقل مقاما من الشيخين إلا أنه كان من أنجح الحكام الذين عرفتهم الدنيا.

الفصل الخامس

نصح الصحابة والتابعين للحسين

لما طلب أهل العراق خروج الحسين إليهم، لينصر الدين كما زعموا، فقالوا له:"إنه قد أُميتت السنَّة، وأحييت البدعة، وأنَّه، وأنَّه"، عزم الحسين على الخروج لهم، لم يوافقه أكثر الصحابة والتابعين رضوان اللّـه عليهم، وسنوضح فيما يلي موقف كل منهم:

*** عبد اللّـه بن عباس:**

لما علم عبد اللّـه بن عباس نية الحسين للخروج، جاءه واستفسر منه، فأكد له ذلك، فنصحه قائلا: "فإني أعيذك باللّـه من ذلك، أخبرني رحمك اللّـه، أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسِر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم، وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك، ويكذبوك، ويخالفوك، ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك، فيكونوا أشد الناس عليك"، فقال الحسين: إني أستخير اللّـه وأنظر ما يكون.

فخرج ابن عباس من عنده ودخل ابن الزبير فقال له: ما أدري ما تركنا لهؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم، أخبرني ما تريد أن تصنع، فقال الحسين: واللّـه لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ولقد كتب إلى شيعتي بها وأشرافها بالقدوم عليهم وأستخير اللّـه، فقال ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت عنها.

ثم جاءه ابن عباس مرة أخرى، فقال له: "يابن عم إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك من هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم، أقم بهذا البلد؛ فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا، فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم فإن أبيت إلا أن تخرج، فسر إلى اليمن، فإن بها حصونا وشعابا، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية".

فقال له الحسين: "يابن عم واللّـه لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكني قد أزمعت وأجمعت على المسير"، فقال له ابن عباس: "فإن كنت سائرا فلا تسِر بنسائك وصبيتك، فواللّـه إني لخائف أن تقتل، كما قتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه"[١].

وذكر أيضا أن ابن عباس دخل على الحسين فكلمه طويلا، وقال له: أنشدك أن تهلك غدا بحال مضيعة لا تأتي العراق وإن كنت لا بد فاعلا فأقم حتى ينقضي الموسم، وتلقى الناس وتعلم ما يصدرون ثم ترى رأيك وذلك في عشر ذي الحجة فأبى الحسين إلا أن يمضي إلى العراق، فقال له ابن عباس: واللّـه إني لأظنك ستقتل غدا بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته، واللّـه إني لأخاف أن تكون أنت الذي يقاد به عثمان، فإنا للّـه وإنا إليه راجعون فقال له الحسين: أبا العباس إنك شيخ قد كبرت، فقال له: ابن عباس لولا أن يزري ذلك بي وبك لنشبت يدي في رأسك، ولو أعلم أنا إذا تباصينا [تجادلنا] أقمت لفعلت ولكن لا أخال ذلك مانعك، فقال الحسين: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة وتستحل بي.

* أبو سعيد الخدري.

وهذا أبو سعيد الخدري يقول للحسين: "يا أبا عبد اللّـه إني لكم ناصح، وإني عليكم مشفق، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة: واللّـه لقد مللتهم وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، واللّـه ما لهم نيات ولا عزم على أمر، ولا صبر على سيف"[٢].

* عبد اللّـه بن عمر بن الخطاب.

وقال غير واحد عن ابن عمر أنه كان بمكة فبلغه أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق، فلحقه على مسيرة ثلاث ليالٍ، فقال: أين تريد، قال: العراق، وإذا معه طوامير وكتب، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم، فقال: لا تأتهم، فأبى، فقال ابن عمر: إني محدثك حديثا: إن جبريل أتى

---

١ تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري٣:١٩٤

٢ لبداية والنهاية لابن كثير ٥:٦٦٧

النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يُرِد الدنيا وإنك بَضْعة من رسول اللّـه، واللّـه ما يليها أحد منكم أبدا، وما صرفها اللّـه عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع، قال: فاعتنقه ابن عمر وبكى، وقال: أستودعك اللّـه من قتيل، وقال يحيى بن معين: حدثنا أبو عبيدة: ثنا سليم بن حيان، عن سعيد بن مينا، قال: سمعت عبد اللّـه بن عمرو يقول: عجل حسين قدره واللّـه لو أدركته ما تركته يخرج إلا أن يغلبني، ببني هاشم فتح هذا الأمر وببني هاشم يختم، فإذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان، ويقول ابن كثير: "وهذا مع حديث ابن عمر يدل على أن الفاطميين أدعياء كذبة لم يكونوا من سلالة فاطمة كما نص عليه غير واحد من الأئمة". وفي رواية أخرى أن عبد اللّـه بن عمر نصح للحسين، وابن الزبير قائلا: "أذكركما اللّـه إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس، وتنظرا فإن اجتمع الناس عليه [أي يزيد بن معاوية] فلم تشذا، وإن افترقوا عليه كان الذي تريدان"، ثم قال للحسين: "لا تخرج فإن رسول اللّـه خيَّره اللّـه بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وإنك بضعة[ع] منه ولا تنالها - يعني الدنيا - واعتنقه وبكى، وقال: أستودعك اللّـه من قتيل[Ď] ".

فكان ابن عمر يقول: غلبنا الحسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، فرأى من الفتنة وخذلان الناس لهما ما كان ينبغي له أن لا يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس، فإن الجماعة خير"[d].

* جابر بن عبد اللّـه الأنصاري.

وقال جابر بن عبد اللّـه: كلمت حسينا، فقلت: "اتَّقِ اللّـه، ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فواللّـه ما حمدتم ما صنعتم، فعصاني"[ع].

---

١ بَضْعة: أي القطعة من اللحم.

٢ يعلق ابن كثير في كتابه البداية والنهاية على هذه المقولة بقوله: "وقال [أي ابن عمر]: أستودعك اللّـه من قتيل، وقد وقع ما فهمه عبد اللّـه بن عمر من ذلك سواء من أنه لم يلِ أحد من أهل البيت الخلافة على سبيل الاستقلال، ويتم له الأمر، وقد قال ذلك عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب: إنه لا يلي أحد من أهل البيت أبدا، ورواه عنهما أبو صالح الخليل بن أحمد بن= =عيسى بن الشيخ في كتابه الفتن والملاحم، قلت: وأما الخلفاء الفاطميون الذين كانوا بالديار المصرية، فان أكثر العلماء على أنهم أدعياء".

٣ البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٦٦٨

*** أبو سلمة بن عبد الرحمن.**

وقال أبو سلمة: "وقد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم، ولكن شجعه على ذلك ابن الزبير"[1].

*** المسور بن مخرمة.**

وكتب إليه المسور: "إياك أن تغتر بكُتب أهل العراق، وبقول ابن الزبير: الحق بهم فإنهم ناصروك"[2].

*** أخوه لأبيه محمد بن الحنفية.**

"ومنع محمد بن الحنفية ولده، ولم يبعث أحدا منهم مع الحسين، حتى وجد الحسين في نفسه على أخيه، وقال: ترغب بولدك عن موضع أُصاب فيه؟ فقال: وما حاجتي إلى أن تصاب ويصابون معك؟ وإن مصيبتك أعظم عندنا منهم"[3].

*** أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.**

وأتاه أبو بكر، فقال للحسين: "يا ابن عم قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك، وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره، فأذكرك اللّـه في نفسك، فقال الحسين: جزاك اللّـه يا ابن عم خيرا، مهما يقضِ اللّـه من أمر يكن، فقال أبو بكر: إنا للّـه وإنا إليه راجعون، نحتسب أبا عبد اللّـه عند اللّـه"[4].

*** عبد اللّـه بن جعفر.**

---

١ البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٦٦٩

٢ البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٦٦٩

٣ تاريخ الطبري ٣: ١٩٤

٤ البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٦٧١

٥ البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٦٧٣

كتب إليه عبد اللَّـه بن جعفر كتابا يحذره أهل العراق ويناشده اللَّـه إن شخص إليهم، فكتب إليه الحسين: إني رأيت رؤيا، ورأيت رسول اللَّـه ﷺ أمرني بأمر وأنا ماضٍ له، ولست بمخبر بها أحدا حتى ألاقي عملي.

*** عمرة بنت عبد الرحمن.**

كتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يساق إلى مصرعه، وتقول: أشهد لسمعت عائشة تقول إنها سمعت رسول اللَّـه ﷺ يقول: يقتل الحسين بأرض بابل، فلما قرأ كتابها قال: فلا بد لى إذًا من مصرعي ومضى.

*** الفرزدق الشاعر الكبير.**

وكلمة الفرزدق صارت مثلا حين قال له: "قلوب الناس معك، وسيوفهم [مع بني أمية] عليك، والقضاء ينزل من السماء، واللَّـه يفعل ما يشاء".

إن مَن ذكرنا من الناصحين وغيرهم أجمعوا على نصحه بعدم الخروج إلى العراق، واتفقت كلمتهم على أن خروجه لا مصلحة فيه، وأن أهل العراق يكْذِبُونَه ويخذلونه، إذ هم أسرع الناس إلى فتنة، وأعجزهم فيها، وأن أباه علي بن أبي طالب ﷺ كان أفضل منه وأطوع في الناس، وكان في مَنَعَةٍ من أتباعه، ومع هذا خذلوه بعد أن أخرجوه من المدينة، وقد تحمل من خلافهم واختلافهم عليه وخذلانهم له ما اللَّـه به عليم، حتى صار يطلب السلم بعد أن كان يدعو إلى الحرب، وما مات إلا وقد كرههم كراهةً صرّح بها لهم، وقد دعا عليهم وتبرَّم بهم، فما بالك بالحسين ﷺ؟!، وقد خرج في تسعين رجلا وامرأة، أغلبهم من آل بيته، ونسائه وبنيه.

الفصل السادس

مقتل الحسين رضي الله عنه

إن حادثة مقتل الحسين ﷺ تُعد ذروة المأساة التي عاشها آل بيت رسول اللّـه ﷺ، فبعد مقتل أبيه، وفوز شقيقه الحسن بمكانة عالية يوم أصلح اللّـه به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، عادت الأحداث بعد وفاته إلى التصاعد.

وقبل أن نتناول ظروف مقتل الحسين ﷺ، لا بد لنا من التنويه على خطورة قراءة الأحداث من زاوية متحيزة أو على لسان صاحب مصلحة، فالتاريخ يكتبه في النهاية أشخاص لهم ميول ولديهم توجهات؛ ولذلك تسمع القصة من أطراف متعددة، فتجدها مكتوبة بصور متضاربة لا تحتمل أن تكون كل رواياتها صحيحة، فإذا قرأت كتابة العباسيين لتاريخ الأمويين تشعر أنك أمام دولة دموية فسادها أكثر من صلاحها، وإذا قرأت عن العباسيين على لسان من جاء خلفهم، تشعر أنك في عصر ألف ليلة وليلة، والمنصف من يطالع وجهتي النظر ليستخلص منها الأحداث الحقيقية، التي تستقيم مع قواعد النقل العلمي، وتتفق مع ضوابط العقل الفطري، وتعطي لمن نتحدث عنهم ما يتفق مع الإطار العام للشخصية وتصرفاتها.

خرج الحسين ﷺ من المدينة إلى كربلاء، وهناك التقى عمر بن سعد، فقال له الحسين: "اختر مني ثلاث خصال: إما أن تتركني أرجع من حيث جئت، فإن أبيت هذه أخرى: سيرني إلى التُّرك [وفي رواية ثغر من الثغور] أقاتلهم حتى أموت، أو تسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده، فيحكم فيَّ بما يريد"[١]. فبعث عمر بن سعد إلى ابن مرجانة عبيد اللّـه بن زياد بالكوفة ليرى قراره في عرض الحسين واختياراته الثلاث، فكتب عمر بن سعد إلى عبيد اللّـه بن زياد والي الكوفة قائلا: "أما بعد فإن اللّـه قد أطفأ الثائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى أو نسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين إن شئنا،

---

١ تاريخ الطبري ٥: ٢٠٩، وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ٢: ٦، وفيه خطأ يبدو أنه من طباعة الكتاب، أن عمر بن سعد يذكر عمرو بن سعيد، وقد يفهم منه أحد أنه عمرو بن سعيد بن العاص الذي كان واليا ليزيد ونائبه على الحرمين، وهذا خطأ، إنما هو عمر بن سعد بن أبي وقاص.

فيكون رجلا من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين، فيضع يده في يده، فيرى بينه وبينه رأيه، وفي هذا لكم رضًا وللأمة صلاح"[١].

فلما قرأ عبيد اللّـه بن زياد كتاب عمر، قال: "هذا كتاب رجل ناصح لأميره، مشفق على قومه، نعم قد قبلت. فقام شهر بن حوشب، فقال: "أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك، واللّـه لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعز ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك، واللّـه لقد بلغني أن الحسين وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين، فيتحدثان عامة الليل، فقال له ابن زياد: نعم ما رأيت الرأي رأيك"[٢].

وفي رواية ابن قتيبة، أن شهر بن حوشب قال لعبيد اللّـه بن زياد: "قد أمكنك اللّـه من عدوك، وتسيره إلى يزيد، واللّـه لئن سار إلى يزيد لا رأى مكروها، وليكونن من يزيد بالمكان الذي لا تناله أنت منه، ولا غيرك من أهل الأرض، لا تسيره ولا تبلعه ريقه حتى ينزل على حكمك"[٣].

ولا شك أن الحسين ﷺ كان موفقا غاية التوفيق في رأيه هذا، فهو لم يجعل قتال جيش عمر بن سعد أحد اختياراته، أو هدد به بأي صورة من الصور؛ لذا استراح عمر بن سعد لرأيه وفرح به، وزفّه لعبيد اللّـه وفرح به أيضا، ولو استشار يزيد لفرح به كذلك، إلا أن بطانة السوء وأصحاب الأهواء والمصالح وطلاب مكافأة الحكام وعطاياهم، بث سمه في أذن عبيد اللّـه، ولو تأملنا كيف لعب شهر بن حوشب على كل الأوتار، فمدح الأمير ونفخ فيه، وجعله في موضع القوة والغلبة، ثم خوفه من التورط في مشكلة أمام يزيد، وخوفه من ضعف صورته أمام رعيته، ثم أوغر صدره من عمر بن سعد حين حذره من مؤامرة تحاك من ورائه وكيف يجتمع قائده مع عدوه طوال الليل، وانظر الفارق بين رأي هذا الفاسد العاشق للدنيا

---

١ تاريخ الطبري ٥: ٢٠٩

٢ تاريخ الطبري ٥: ٢٠٩

٣ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ٢: ٧

وسلطانها، ورأي عمر بن سعد الناظر إلى اجتماع شمل الأمة ودرء الفتنة، والكارثة هي ميل عبيد اللّـه بن زياد إلى حظ الدنيا، ودفاعه عن مكانته وهيبته بين رعيته، ولهذا كافأه ابن زياد قائلا له: "إن تقدم عمر يقاتل، وإلا فاقتله، وكن أنت مكانه"[١]. ونحن نؤكد أن اختيارات الحسين لو عرضت على يزيد لوافق عليها فورا، وذلك للأسباب التالية:

- لأن فيها مصلحة عامة ودرءا للفتنة واجتماعا لشمل الأمة.
- لأن الحسن بن علي سبق إلى الاتفاق مع أبيه معاوية على وحدة الصف، وتنازل الحسن عن الخلافة، ويومها فرح المسلمون باجتماع شمل الأمة حتى سموا تلك السنة بعام الجماعة.
- حرص يزيد على تنفيذ وصية أبيه معاوية حين حذره ممن قد يخرجون عليه، وقال له: "وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به، فاصفح عنه، فإن له رحما ماسة وحقا عظيما".

ولكن الأحداث تداعت وتلاحقت بسرعة، فقد بعث ابن مرجانة برسالة مع شمر بن ذي الجوشن، يرفض عرض الحسين، ويكلف عمر بن سعد بدعوة الحسين للتسليم ليزيد أو القتل، ويحذره من التردد في طاعته وإلا ترك قيادة الجيش لشمر بن ذي الجوشن، فلما قرأ عمر بن سعد رسالة ابن مرجانة، قال لشمر: "أفسدت علينا أمرا كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم واللّـه الحسين، أن نفسا أبية بين جنبيه"[٢].

فأرسلوا للحسين يرفضون اختياراته الثلاث قائلين له: "لا إلا أن تنزل على حكمي"، فرفض الحسين، ثم كان ما نورده مختصرا من تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري: "أن شمر بن ذي الجوشن، وأمير الجيش عمر بن سعد بن أبي وقاص، وخولي بن يزيد الأصبحي، وسنان بن أنس بن عمرو النخعي لعنهم اللّـه حملوا على الحسين ﵁، فطعنه سنان بالرمح

---

١ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ٢:٦ ولا يخفى أن هذا هو حال مستشاري الحكام اليوم وكل يوم، فنادرا ما ينصح أحدهم بما يقرب إلى اللّـه ﷻ، ويصلح أحوال الرعية.

٢ تاريخ الطبري ٥: ٢١٠

فوقع، ثم نزل إليه فاحتز رأسه، وقُتل من أصحاب الحسين ﷺ اثنان وسبعون رجلا، ودفن الحسينَ وأصحابَه أهلُ الغاضرية من بني أسد بعدما قُتِلوا بيوم.

وقبل أن نتتبع القصة وما حدث بعد ذلك، لا بد لنا من وقفة نوضح فيها موقف السبط الكريم ابن الكرام، الحسين بن علي، وابن الزهراء البتول، وحفيد سيد الأنام سيدنا محمد ﷺ.

الفصل السابع

تفسير موقف الحسين

نلاحظ غموضا يحيط بتصرف الحسين ﷺ حيث إصراره على الخروج إلى العراق أمام كل النصائح والتحذير من خطر الخروج، ترى لماذا أصر الحسين كل هذا الإصرار رغم كل النصائح والتحذيرات؟ ما أسباب إصراره؟ لا بد أن هناك دافع أكبر من كل تحذير بأنه سيلقى حتفه، ونحن لا نشك لحظة واحدة في سلامة قصد الحسين ﷺ، فهو لا يريد تقسيم الأمة أو تفريق كلمتها إلا أن الحسين ﷺ، يرى أنه أولى بقيادة الأمة لما له من الأهلية، ومع هذا فإنه ما إن وصل إلى كربلاء، وأيقن بخذلان أهل العراق له، اتخذ موقفا مختلفا عما خرج به من المدينة، فنراه لا يهدد بالقتال، أو يرفع راية العصيان للحاكم، وإنما وضع أمامهم ثلاثة اختيارات، ليس لأحد أن يعترض على أي منها، فهو على استعداد أن يعود من حيث أتى، أو يوجهوه إلى أي ثغر من الثغور؛ ليبذل نفسه الشريفة في جهاد أعداء الدين، أو أن يلقى يزيد بن معاوية ويتفقا على ما فيه صالح الأمة، وبالتالي برأت ذمة الحسين من تهمة الخروج على الحاكم، واتجهت نيته وعزمه وقوله وفعله إلى حقن دماء المسلمين.

كما سبق أن بينا وصية معاوية لولده يزيد، والتي نصحه فيها بعدم إيذاء الحسين إذا ظفر به، فكيف سارت الأمور هذا المسار العنيف، والحقيقة أن اللوم كل اللوم ينصرف على أولئك الذين وضعوا شروطا من عند أنفسهم، يريدون أن يكسبوا بها رضا الحاكم، فرفضوا خيارات الحسين ﷺ، ثم حملوا عليه بالسيوف غدرا وسفكا للدماء الزكية التي كان ينبغي أن يضحوا بأنفسهم فداء لها، وهذا الأمر يفسر لنا كيف اختار الحق تبارك وتعالى للحسين الشهادة؟ ولما كانت الأمور بخواتيمها كان خروجه من المدينة سببا يرفعه إلى أعلى درجات الجنة مع الأنبياء، والشهداء، والصديقين، وحسن أولئك رفيقا، وهكذا يعوض الحسين ﷺ ما فاتَه من ثواب الهجرة حيث ولد بعدها، ويعوض ما فاتَه من ثواب يوم الفرقان يوم التقى الجمعان في غزوة بدر الكبرى، وما فاتَه من فضل أُحُد، وباقي الغزوات، ويوم الفتح الأكبر، وما فاتَه أيضا من فضل بيعة الرضوان لصغر سنه عن شهود تلك المواقف المشهودة.

لقد شاءت إرادة اللَّـه تبارك وتعالى أن يكرم الحسين ﷺ بالشهادة؛ لينال عنده سبحانه أرفع المنازل وأسمى الدرجات؛ وليكون يوم القيامة سيد شباب أهل الجنة، فكان خروجه اتباعا لرؤيا رأى فيها جده رسول اللَّـه ﷺ في المنام يأمره بأمر لم يُفصح الحسين عنه، وعندما نصحه أصحاب رسول اللَّـه ﷺ بعدم الخروج، أجابهم أنه ماضٍ لما أمره به رسول اللَّـه ﷺ، فكان إيمان الحسين ﷺ باللَّـه عظيما حين أدرك أن اللَّـه تعالى سيمكر له، واللَّـه خير الماكرين، وأن عاقبة أمره ستتوافق مع تبشير النبي ﷺ له ولأخيه أنهما سيدا شباب أهل الجنة، فكان خروجه محسوبا بحسابات أخرى من نفس مستوى حسابات عثمان بن عفان ﷺ، حين رفض التنازل عن الحكم، تنفيذا لوصية الرسول ﷺ، عندما نهى الصحابة عن القتال لحمايته ودرء الخارجين عليه حقنا لدماء المسلمين، فسار إلى الشهادة راضيا، عالما بالنهاية وسعيدا بها، وهذا ما حدث مع الحسين ﷺ.

وبعد أن أوضحنا مقاصد الشريعة من النهي عن الخروج على الحاكم، فلا يجعلن كل واحد من نفسه حسينا، ويصبح تصرف الحسين هو الحجة على الدين، وصواب الأمر هو العكس.

ونعود مرة ثانية لمتابعة الركب الحزين ركب آل البيت الأطهار، ومن حولهم جنود لا يخافون اللَّـه ﷻ، ولا يراعون ذمة رسول اللَّـه ﷺ.

الفصل الثامن

تتبع موكب رأس الحسين

تحرك الجند بالرأس الشريف ومن بقي من آل الحسين وصبيانه وإخوته ونسائه من كربلاء حتى دخلوا على عبيد اللّـه بن زياد الفاجر، فأساء إليهم، ونصب رأس الحسين، فجعل يدار به في الكوفة.

ثم سرح زَحر بن قيس برأس الحسين ورءوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية في دمشق، فلما دخل زَحر بن قيس على يزيد قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح اللّـه وبنصره، وَرَد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته، وستين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد اللّـه بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال على الاستسلام، فعدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية، حتى إذا أخذت السيوف مأخذها، من هام القوم يهربون إلى غير وزر، ويلوذون منا بالآكام والحفر، لواذا كما لاذ الحمائم من صقر، فواللّـه يا أمير المؤمنين، ما كان إلا جزر جزور، أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفي[1] عليهم الريح، زوارهم العقبان والرخم، بقي سبسب[2]، فدمعت عين يزيد، وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن اللّـه ابن سمية، أما واللّـه لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم اللّـه الحسين، ولم يصله بشيء [أي لم يعطه مكافأة أو جائزة على فعله]، ولما أراد يحيى بن الحكم أن يشمت في آل الحسين ومن معه، ضربه يزيد بن معاوية في صدره، وقال له: اسكت، ثم حدث نقاش بينه وبين علي بن الحسين، وزينب بنت فاطمة ﵂، ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم، وأن يبعث معهم رجلا من أهل الشام أمينا صالحا، وأن يبعث معه خيلا

---

١ سفت الريح التراب: أي ذرته وحملته فلم تبقي عليه.

٢ سبسب: شجر يتخذ منه السهام، والسبسب الأرض المستوية البعيدة لا ماء بها ولا أنيس.

وأعوانا، فيسير بهم إلى المدينة"[1]. وكان مقتل الحسين ﷺ يوم الجمعة الموافق عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين، وهذا أرجح الأقوال.

يقول ابن سعد في طبقاته الكبرى أن يزيد قال لعلي بن الحسين: "إن أحببت أن تقيم عندنا فنصل رحمك، ونعرف لك حقك فعلت، وإن أحببت أن أردك إلى بلادك وأصلك، قال: بل تردني إلى بلادي، فرده إلى بلاده ووصله"[2].

أما في رواية ابن قتيبة التالية سنلاحظ أنه لم يذكر واقعة حز رأس الحسين ﷺ، ولا طواف العسكر بها في الكوفة، ولا نقلها إلى الشام، فهو يقول: إن يزيد قال وهو يستقبل آل علي بن أبي طالب: "ما علمت بخروج أبي عبد اللّـه [أي الحسين] حين خرج، ولا بقتله حين قُتل، فقال علي بن الحسين: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّـهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد٢٢-٢٣]، فغضب يزيد، وجعل يعبث في لحيته، وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى-٣٠]، يا أهل الشام ما ترون في هؤلاء؟ فقال النعمان بن بشير ﷺ "يا أمير المؤمنين اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول اللّـه ﷺ لو رآهم بهذه الحال؟ فبكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض، وبكى أهل الشام حتى علت أصواتهم، ثم أحسن وفادتهم، وأخرج لهم أموالا كثيرة وكسوة، وبعث بهم إلى المدينة"[3].

وبناء على هذه الرواية وما صح من أخبار ذهب ابن تيمية إلى أن الرأس لم يذهب إلى دمشق.

١ تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ٥: ٢٢٩-٢٣٣

٢ الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ٥: ٢١٢

٣ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ٢:٨

الباب الثالث

موضع

رأس الحسين رضي الله عنه

١. الشيعة وكربلاء

٢. باب الفراديس بمسجد دمشق

٣. مشهد الرأس بعسقلان

٤. مشهد الرأس في القاهرة

٥. الرأس في البقيع

الفصل الأول

الشيعة وكربلاء

يحصر ابن خلدون مواضع الرأس في أربعة أماكن فقط، فيقول: "واختلف في وضع رأس الحسين، فقيل: جُهِّزَ إلى المدينة، ودفن عند أمه، وقيل: دُفن عند باب الفراديس، وقيل: إن خلفاء مصر نقلوه من عسقلان رأسا إلى القاهرة، ودفنوه بها، وبنوا عليه مشهدا يعرف بمشهد الحسين"[١].

ولتمام مناقشة الموضوع، نقول: إن هناك خمس مواضع - وليس أربعة كما شرح ابن خلدون - يزعم أنصار كل منها أن رأس الحسين مدفون فيها، وهذه المواضع هي: كربلاء بالعراق، ومسجد الرأس عند باب الفراديس بدمشق، ومسجد عسقلان شمالي غزة بفلسطين، ومشهد الرأس بالقاهرة، والبقيع بالمدينة المنورة، ولا شك أن رأس الحسين ﷺ في موضع واحد منها، وبالتالي تكون باقي المواضع خالية منها، وهذا ما سنناقشه ؛ لنعرف وجه الحق، وما ترتب على هذه الأقوال الخمسة، فنقول وباللّه تعالى التوفيق.

يقول الإمام القرطبي في كتابه التذكرة في أحوال الموتى والآخرة:والشيعة الإمامية، تقول: "إن الرأس أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوما من المقتل، وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه زيارة الأربعين، وما ذكر أنه في عسقلان في مشهد هناك، أو بالقاهرة، فشيء باطل لا يصح، ولا يثبت"[٢].

ويقول ابن كثير في البداية والنهاية: "وأما قبر الحسين ﷺ: فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه في مشهد علي ﷺ، بمكان من الطَّفّ عند نهر كربلاء، فيقال: إن ذلك المشهد مبني على قبره -فاللّه أعلم- وقد ذكر ابن جرير، وغيره أن موضع قتله عُفي أثره حتى لم يطلع أحد لتعيينه على خبر، وكان الفضل بن دكين ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين"[٣]. فإذا كان

١ تاريخ ابن خلدون ٣: ٣

٢ التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للإمام القرطبي ٦٤٨

٣ البداية والنهاية، لابن كثير ٥:٢١٧

موضع جسد الحسين ﷺ غير معلوم في كربلاء، ومع هذا بنوا له ضريحا عظيما، تزوره الشيعة معتقدة أن ذلك من أعظم الأعمال وأقرب القربات، وهم في وادٍ، والتاريخ في وادٍ آخر، فكيف يصدق عاقل طيران الرأس من دمشق، أو من الكوفة حتى تلحق بالجسد في كربلاء؟!، أما إذا قالوا بنقله بطريقة بشرية عادية، فليقدموا لنا الدليل على صدق هذه المزاعم، ومن هنا لا يصح الموضع الأول لرأس الحسين ﷺ.

الفصل الثاني

باب الفراديس بمسجد دمشق

ذكر ابن أبي الدنيا: "إن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي، فأخذ من خزانته، فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق"[1].

ويقول ابن كثير: "ويُعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثاني"[2]، ويقول في موضع آخر: "والصواب أن عبيد اللّه بن زياد لم يبعث برأس الحسين إلى الشام، كما سيأتي"[3]، ثم يقول رأيا مناقضا بعد صفحات معدودة من تاريخه: "وأما رأس الحسين ﷺ: فالمشهور عند أهل التاريخ، وأهل السير، أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية، ومن الناس من ينكر ذلك، وعندي أن الأول أشهر، فاللّه أعلم"[4]، وسنناقش ذلك مع باقي المواضع.

---

١ ابن أبي الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح، وهما ضعيفان.

٢ البداية والنهاية، لابن كثير ٥:٧١٣

٣ البداية والنهاية، لابن كثير ٥:٦٧٢

٤ البداية والنهاية، لابن كثير ٥:٧١٢

الفصل الثالث

مشهد الرأس بعسقلان

كل من قال بوجود مشهد للرأس بعسقلان، يقول: إن الرأس نقل من دمشق إلى عسقلان، دون أن يقدم على ذلك دليلا، ولا تاريخا معلوما لذلك النقل، يقول الشيخ/ محمد زكي إبراهيم في كتابه مراقد آل البيت بالقاهرة: "يُجمِع المؤرخون وكتاب السيرة على أن جسد الحسين رضوان اللَّـه عليه دفن بكربلاء، أما الرأس الشريفة فقد طافوا بها إرهابا للناس، أو حُفظ حتى استقر بعسقلان الميناء الفلسطيني". وهكذا بعبارة خالية من الدليل يُنقل الرأس من دمشق إلى عسقلان، ثم يظل هناك أربعة قرون لا يعرف عنه أحد شيئا، إلى أن ظهر بدر الجمالي، أو ابنه الأفضل، فيظهر معهما مسجد الرأس بعسقلان، يقول عارف تامر في تاريخ الإسماعيلية: "وبالإمكان أن نضيف إلى أعمال بدر الجمالي تشجيعه للعمران والبناء، فقد ذكر أنه جدد جامع العطارين بالإسكندرية، وأنشأ جامع المقياس، والجامع العتيق بإسنا، وجامع أمير الجيوش بأعلى المقطم، ومشهد الحسين بعسقلان"[1]. يقول المقريزي [متوفى سنة ٨٤٥ هـ] في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: "قال الفاضل محمد بن علي بن يوسف بن ميسر: وفي شعبان [٤٩١ هـ] خرج الأفضل بن أمير الجيوش بعساكر جمّة إلى بيت المقدس، وبه سُقمان، وأبو الغازي ابنا أرتق في جماعة من أقاربهما، ورجالهما، وعساكر كثيرة من الأتراك، فراسلهما الأفضل[2]، يلتمس منهما تسليم القدس إليه بغير حرب، فلم يجيباه لذلك، فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق، وهدم منها جانبا، فلم يجدا بدا من الإذعان له وسلماه إليه، فخلع عليهما، وأطلقهما وعاد في عسكره، وقد ملك القدس"[3].

---

١ تاريخ الإسماعيلية عارف تامر ٢:٣

٢ الأفضل هو لقب محمد الملك أبي القاسم شاه، ولد أمير الجيوش بدر الجمالي

٣ الخطط والآثار للمقريزي ١: ٤٢٧، وذكر نفس المعنى تاريخ الإسماعيلية عارف تامر ٣: ٢٣١

الفصل الرابع

مشهد الرأس في القاهرة

تعتمد نظريات نقل رأس الحسين إلى القاهرة على وجود الرأس أولا في عسقلان، ثم تختلف في بيان سبب، وكيفية نقلها إلى القاهرة.

١.المثبتون.

يفسر الشيخ محمد زكي إبراهيم سبب نقل الرأس من عسقلان بقوله: "ثم لما اشتعلت الحروب الصليبية، وخاف الخليفة الفاطمي على الرأس، فأذن وزيره الصالح طلائع بن رزيك، فنقلها إلى مصر بالمشهد المعروف بها الآن بتحقيق أعلم المؤرخين وأصدقهم، ولا اعتبار للروايات التي يتمسك بها النواصب من خصوم آل البيت، فهي منقوصة من كل الوجوه".

ويستطرد قائلا: "وقد أيد وجود الرأس الشريف بعسقلان، ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرخين والرواد، منهم: ابن ميسر[1]، والقلقشندي في صبح الأعشى، والسايح الهروي[2] [ت: ٦١١]، وسبط ابن الجوزي، والمؤرخ العظيم عثمان مدوخ في كتابه "العدل الشاهد في تحقيق المشاهد"، الذي يقول: "إن الرأس الشريف له ثلاثة مشاهد تزار،... مشهد بدمشق، دفن به الرأس أولا، ثم مشهد عسقلان بلد على البحر الأبيض، ونقل إليه من دمشق، ثم نقل إلى المشهد القاهري بمصر بين خان الخليلي، والجامع الأزهر "، ثم ينقل عن المقريزي، قوله: "إن رأس الحسين رضوان اللّـه عليه نقلت من عسقلان إلى القاهرة [في ٨ من جمادى الآخرة، عام ٥٤٨ هـ]، وبقيت عاما مدفونة في قصر الزمرد حتى أنشئت له خصيصا قبة هي المشهد الحالي".

ثم ينقل شهادة الدكتور الحسيني هاشم التي اعتمد فيها على الكلام السابق، ثم أورد الرأي الرسمي لمصلحة الآثار للأستاذة عطيات الشطوي، ثم يسوق الشيخ/ محمد زكي إبراهيم دليلين آخرين، أولهما: ظهور مخطوط لابن الأورق [المتوفى سنة ٥٧٢ هـ] أثبت فيه

---

١ هو محمد بن علي بن ميسر، وله كتاب في تاريخ مصر ذيله لتاريخ عز الملك المسجى.

٢ هو أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي، وكتابه الإشارات في معرفة الزيارات.

بالطريق اليقيني نقل رأس الحسين من عسقلان إلى القاهرة في عهده، ويظن الشيخ أنه لا يوجد مخلوق يتمتع بذرة من الإنصاف يماري في وجود الرأس بمصر بعد هذه الكرامة الكبرى لآل البيت بظهور هذا المخطوط، ثم يسوق الدليل الثاني، وهو: كيف صمت العباسيون وغيرهم، دولة وشعبا على هذا الحدث الخطير؟! وفي صمتهم أكبر دليل على صحة وجود الرأس بعسقلان، وبالتالي صحة نقلها للقاهرة، ويعقب الشيخ، قائلا: "وقد غاب هذا الدليل عن المتحدثين على كثرتهم في هذا الجانب، رغم أنه دليل قاطع حاسم"، ثم ينقل عن كتاب "بحر الأنساب": أن العلامة الشبراوي أثبت وجود الرأس بمصر، وذكر قائمة من عشرين من أئمة الصوفية يثبتون ذلك.

وختم بحثه بتحقيق علمي حاسم - كما يصفه - للدكتورة سعاد ماهر عميدة كلية الآثار من كتابها "أولياء اللّه الصالحون"، تؤكد فيه وجود الرأس بعسقلان ؛ لوجود النص التالي على منبر المشهد الخليلي بالقدس: "الحمد للّه وحده، لا شريك له، محمد رسول اللّه، علي ولي اللّه، صلى اللّه عليهما، وعلى ذريتهما الطاهرة، سبحان من أقام لموالينا الأئمة مشهدا مجدا رفع راية، وأظهر معجزا بين كل وقت وآية، وكان من معجزاته تعالى إظهار رأس مولانا الإمام الشهيد أبي عبد اللّه الحسين بن علي بن أبي طالب - صلى اللّه عليه، وعلى جده، وأبيه، وأهل بيتهم - بموضع بعسقلان كان الظالمون ستروه فيه، وإظهاره الآن شرفا لأوليائه الميامين، وانشراح صدور شيعته المؤمنين، ورزق اللّه فتى مولانا، وسيدنا معد أبي تميم الإمام المستنصر باللّه أمير المؤمنين صلى اللّه عليه، وعلى آبائه، وأبنائه المطهرين".

٢. نقل الرأس من عسقلان إلى القاهرة.

يقول المقريزي: "وكان حمل الرأس إلى القاهرة من عسقلان، ووصوله إليها في يوم الأحد جمادى الآخرة [سنة ٥٤٨ هـ]، وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان، والقاضي المؤتمن بن مسكين"[١].

وينقل المقريزي عن رايا - حاضنة يزيد بن معاوية - قولها: "ومكث الرأس مصلوبا ثلاثة أيام، ثم أُنزل خزائن السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك المُلك، فبعث إليه فجيء به، وقد

١ الخطط والآثار للمقريزي ١:٤٢٧

مُحِلَ وبقي عظما أبيض، فجعله في سفط، وطيبه وجعل عليه ثوبا، ودفنه في مقابر المسلمين، فلـما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح، أن وجه إليَّ رأس الحسين بن علي، فكتـب إليه أن سليمان أخذه، وجعله في سفط، وصلى عليـه ودفنـه، فلـما دخلـت المسـودة [دولـة بنـي العباس بعد نهاية الدولة الأموية] سألوا عن موضع الرأس الكريمة الشريفة، فنبشوه وأخـذوه، واللَّـه أعلم بما صنع به"[1].

ويقول ياقوت الحموي في معجم البلـدان: "وبـمصر مـن المشـاهد والمـزارات: بالقـاهرة مشهد به رأس الحسين بن علي ﷺ، نقل إليها من عسقلان، وهو خلف دار المملكة يزار"[2].

ولم يرد ذكر لأحداث نقل الرأس من عسقلان إلى القاهرة في المنتظم في تاريخ الأمم لابـن الجوزي، ولا الكامل لابن الأثير، أو تاريخ ابن خلدون، ولا ابن العماد في شذرات الذهب.

---

١ الخطط والآثار للمقريزي ١:٤٣

٢ معجم البلدان ٥: ١٤٢

الفصل الخامس

الرأس في البقيع

يقول الإمام القرطبي في كتابه التذكرة في أحوال الموتى والآخرة: "واختلف الناس في موضع الرأس المكرم، وأين حمل من البلاد، فذكر الحافظ أبو العلاء الهمداني: أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة، فأقدم إليه عدة من موالي بني هاشم، وضم إليهم عدة من موالي أبي سفيان، ثم بعث بثَقَل[1] الحسين ومن بقي من أهله معهم، وجهزهم بكل شيء، ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا أمر بها، وبعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وهو إذ ذاك عامله على المدينة، فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إليّ، ثم أمر عمرو بن سعيد بالرأس فكفن، ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليها السلام، وهذا أصح ما قيل في ذلك.

ولذلك قال الزبير بن بكار[2]: حدثني بذلك محمد بن حسن المخزومي النسابة[3]: "إن الرأس حمل إلى المدينة"، والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء لهذا السبب.

---

١ الثَّقَل: متاع المسافر وحشمه.

٢ الزبير بن بكار ولد سنة ١٧٢ هجرية، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ، ويترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٢: ٣١٣ بقوله: العلامة الحافظ النسابة قاضي مكة وعالمها، وهو مصنف كتاب نسب قريش وهو كتاب كبير نفيس، وفي تهذيب التهذيب: قال الخطيب: كان ثقة ثبتا عالما بالنسب عارفا بأخبار المتقدمين، ومآثر الماضين، ووثقه الدارقطني".

٣ محمد بن حسن بن زبالة المخزومي النسابة، وهو ضعيف كان يضع الحديث، ويروي عن مالك مناكير، توفي قبل المائتين، وذكره البخاري في الضعفاء الصغير رقم ٣١٤، والنسائي في الضعفاء والمتروكين ٥٣٥، والذهبي في المغني في الضعفاء ٥٤:٨، وقال أبو داود: كذاب، ورغم أن الزبير بن بكار ينقل هذا الخبر، عن محمد بن حسن بن زبالة المخزومي النسابة، وهو ضعيف كان يضع الحديث، ويروي عن مالك مناكير، إلا أن نقل الزبير عنه، وهو القاضي عالم مكة أدرى بما ينقله بعد حكمه عليه، يعززه ويقويه. وخلاصة الرأي: إنه على الرغم من ضعف محمد بن حسن الذي ذكرناه آنفا، إلا أن الخبر الذي نقله عن دفن رأس الحسين في البقيع، لا مجال لعدم صحته، فتاريخ هذا القول يسبق الاختلافات التي حدثت بعد ذلك بثلاثة قرون، وليس هناك أي مصلحة تعود على أي طرف من الأطراف يستوجب كذب هذا الخبر، والراوي الضعيف لا يعني أن صاحبه كذاب، أو يختلق الأخبار فتلك درجة أكثر تدنيا من وصف الضعف. ولهذا اعتمد المؤرخ الكبير ابن بكار هذا الخبر ونقله، ونقله هذا يزيد الخبر قوة.

ويقول ابن كثير: "ثم اختلفوا في المكان الذي دفن فيه الرأس، فروى محمد بن سعد، أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة، فدفنه عند أمه بالبقيع"[1].

يقول أبو الخطاب ابن دحية في كتابه: "العلم المشهور في فضل الأيام والشهور"، بعد أن أورد ما ذكره الزبير بن بكار، عن محمد بن الحسن: "أنه قدم برأس الحسين، وبنو أمية مجتمعون عند عمرو بن سعيد، فسمعوا الصياح، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: نساء بني هاشم يبكين حين رأين رأس الحسين بن علي، قال: وأُتي برأس الحسين بن علي، فدخل به على عمرو، فقال: واللّه لوددت أن أمير المؤمنين لم يبعث به إليّ، فقال ابن دحية: فهذا الأثر يدل على أن الرأس حمل إلى المدينة، ولم يصح فيه سواه، والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء بهذا السبب، وقال: وما ذكر من أنه في عسقلان في مشهد هناك، فشيء باطل، لا يقبله من معه أدنى مسكة من العقل والإدراك، فإن بني أمية مع ما أظهروه من القتل، والعداوة، والأحقاد لا يتصور أن يبنوا على الرأس مشهدا للزيارة"[2].

ويقول ابن الجوزي: إن يزيد بن معاوية، قال لعلي بن الحسين: "إن أحببت وصلتك ورددتك إلى بلدك، قال: بل تردني إلى المدينة، فوصله ورده"[3]، ويستطرد قائلا: "ثم بعث يزيد بهم إلى المدينة، وبعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو عامله على المدينة، فكفنه ودفنه بالبقيع عند قبر أمه فاطمة، هكذا قال ابن سعد"[4].

ويقول الطبري: "ولما حان وقت الرحيل إلى المدينة دعا يزيد بن معاوية علي بن الحسين، ثم قال له: لعن اللّه ابن مرجانة [عبيد اللّه بن زياد]، أما واللّه لو أني صاحبها ما سألني خصلة أبدا إلا أعطيتها إياه، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن اللّه قضى ما رأيت، كاتبني وأَنْهِ كل حاجة تكون لك، قال: وكساهم، وأوصى بهم ذلك الرسول"[5].

---

١ البداية والنهاية، لابن كثير ٥:٧١٢

٢ الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤: ٥٠٩

٣ المنتظم في تاريخ الأمم، لابن الجوزي ٥:٣٤٥

٤ طبقات ابن سعد، والمنتظم في تاريخ الأمم، لابن الجوزي ٥:٣٤٤

٥ تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري: ٢٣٢، ٢٣٣

يقول ابن الأثير في الكامل: "ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين، ورءوس أصحابه مع زحر بن قيس إلى الشام إلى يزيد بن معاوية، ومعه جماعة".. كما يؤكد حزن يزيد عند سماعه مقتل الحسين بقوله: "فدمعت عينا يزيد، وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن اللّه ابن سمية، أما واللّه لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم اللّه الحسين، ولم يصله بشيء"[1].

ويقول الذهبي في سير أعلام النبلاء: "يقول ابن سعد، عن الواقدي، والمدائني، عن رجالهما، أن محفز بن ثعلبة العائذي قدم برأس الحسين على يزيد، فقال: أتيتك يا أمير المؤمنين برأس أحمق الناس وألأمهم، فقال يزيد: ما ولدت أم محفز أحمق وألأم، لكن الرجل لم يتدبر كلام اللّه: ﴿قُلِ اللَّـهُمَّ مَالِكَ الْـمُلْكِ تُؤْتِي الْـمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْـزِعُ الْـمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران-٢٦]، ثم بعث يزيد برأس الحسين إلى متولي المدينة، فدفن بالبقيع عند أمه"[2].

ويقول ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب [متوفى سنة ١٨٩ هـ]: "والصحيح أن الرأس المكرم دفن بالبقيع إلى جنب أمه فاطمة، وذلك أن يزيد بن معاوية بعث به إلى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد الأشدق، فكفنه ودفنه"[3].

---

١ الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٩٨

٢ سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣: ٣١٧

٣ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي ١: ٦٧

الباب الرابع

مناقشة

الآراء الخمسة

١. قاعدة تاريخية هامة

٢. الحالة السياسية للفاطميين

٣. مناقشة نقل الرأس من عسقلان

٤. ابن تيمية يحسم القضية

٥. القول الفصل في القضية

الفصل الأول

قاعدة تاريخية هامة

بين أيدينا الآن خمسة آراء تتناول موضع رأس الحسين: تبين لنا وهن خبر عودة الرأس إلى الجسد في قبره بكربلاء كما تزعم الشيعة، فقبر جسد الحسين ﷺ، وإن كان في موضع المعركة إلا أن الموضع الحالي المشهور بين الناس في كربلاء ينفيه العلماء، وبالتالي يسقط القول بوجود الرأس في العراق، ومن الثابت أن خبر نقل الرأس إلى البقيع، يسبق الحديث عن مسجد عسقلان، ومشهد الرأس بالقاهرة بثلاثة قرون على الأقل، مما يعطي ثقلا حقيقيا لهذا الرأي، ويبقى علينا أن نناقش هل الرأس في دمشق؟ ولماذا أرسل إلى عسقلان؟ وما الداعي لنقله بعد ذلك إلى القاهرة، وقبل أن نتناول ذلك بالتفصيل يساعدنا أن ننقل قاعدة تاريخية هامة فيما يلي:-

يجب قبل أن نحقق قبري السيدة زينب وسيدنا الحسين، وهل هما في القاهرة أم لا؟ أن نشير إلى قاعدة أساسية متفق عليها بين المؤرخين من العلماء المحققين، وهي: "من الثابت تاريخيا أنه لم يدخل أحد من الجيل الأول من نسل علي بن أبي طالب مصر"، وهذه القاعدة يقررها جمع من المحققين:-

١. يقول الحافظ أحمد بن محمد السلفي [توفي سنة ٥٧٦ هـ]: "لم يمت لعلي بن أبي طالب ولد لصلبه بمصر".
٢. وقال الحافظ المؤرخ حسن بن إبراهيم بن زولاق الليثي المصري [ت: ٣٨٧ هـ]: "أول من دخل مصر من ولد علي: سكينة بنت علي بن الحسين".
٣. قال المقريزي في الخطط وابن دقماق في الانتصار: "إن أول علوي قدم مصر محمد بن عبد اللّـه بن حسن بن حسن بن علي دخلها في إمارة يزيد بن حاتم المهلبي بمصر [سنة ١٤٥ هـ].
٤. قال الحافظ المؤرخ أبو عبد اللّـه محمد بن ناصر الدين الأنصاري [ت ٨١٤ هـ] لم أجد أحدا من أرباب التاريخ من صحح مشهدا بغير القرافة من أولاد علي إلا المشهد النفيسي؛ لأنها أقامت به في أيام حياتها وحفرت قبرها بيدها".

٥. قال السخاوي: "إن المنقول عن السلف أنه لم يمت أحد من أولاد علي بن أبي طالب لصلبه في مصر"، واعترف به الأستاذ/ حسن محمد قاسم.

كيف يظهر للسيدة زينب ولأخيها الحسين قبران في مصر في ظل هذه الحقيقة التاريخية؟ ومن ساق هذه الأكذوبة؟ وما دوافعه؟ هذا ما سيظهره معرفة حالة الدولة الفاطمية آنذاك.

الفصل الثاني

الحالة السياسية للفاطميين

لا بد لنا ونحن نتناول موضوع كتابنا أن نتناول الحالة السياسية لدولة العبيديين حتى نصل إلى السبب الحقيقي الذي دعا هذه الدولة إلى اختلاق قصة رأس الحسين من أساسها، ورغم حرصنا على الاختصار إلا أننا سنعرض في نقاط محددة صورة لهذه الدولة، وحركتها السياسية، والظروف المحيطة بها، ونعتمد في سردنا على كتب التاريخ المعتمدة[1]،فنقول وباللّـه تعالى التوفيق:

- بعد أن امتد نفوذ العبيديين كثيرا في أوائل أيام الخليفة المستنصر باللّـه [٤٢٧ - ٤٨٧ هـ]. بدأ هذا المد في الانحسار تدريجيا، فقد زال سلطانهم من ناحية المغرب، كما انسحبوا من الحجاز ومن بلاد الشام، ولم يبق لهم سوى مصر، وكان بدر الجمالي - وهو أرمني الأصل - نائبا للمستنصر على مدينة صور، وقيل على عكا، واضطر المستنصر أن يسحبه [عام ٤٦٦هـ] فاستدعاه إليه في فصل الشتاء فركب البحر، فاستنابه على ديار مصر وسلمه الوزارة والقيادة، وشئون الدعوة الدينية، وفي فترة قصيرة تمكن من القضاء على مثيري الفتن، ثم سدَّد الأمور بعد فسادها، ورتب الدواوين والمستخدمين، وأصبح صاحب جيوش مصر ومدبر الممالك الفاطمية، وكان عاقلا كريما محبا للعلماء، ولهم عليه رسوم دارّة، تمكن في أيام المستنصر تمكنا عظيما، ودارت أزمة الأمور على آرائه، وفتح بلادا كثيرة، وامتدت حياته، وبعد صيته وامتدحته الشعراء"[2].
- تقول المصادر الفاطمية أن بدر الجمالي اعتنق المذهب الإسماعيلي ولم يكن ذلك إلا في سبيل المناصب والنفوذ والمغانم، ومما يجدر الإشارة إليه أن الخليفة المستنصر تزوج ابنة

---

١ البداية والنهاية لابن كثير، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر الدولة العباسية ٢: ٦

٢ البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٢٨٣، ويقول ابن كثير وبنى بدر الجمالي الجامع الذي بثغر الإسكندرية بسوق العطارين، ومشهد الرأس بعسقلان أيضا، وهذا وهم من ابن كثير حيث يزعم الفاطميون أن المشهد بناه ابنه الأفضل، وليس هو لأن بدر الجمالي توفي سنة ٤٨٧ هـ، بينما يقولون أنه بني سنة ٤٩١ هـ.

بدر الجمالي، ورزق منها غلاما سماه أحمد"[1].

- توفي بدر الجمالي صاحب جيوش مصر [عام ٤٨٧ هـ] قبل وفاة الخليفة المستنصر بشهور، وقام في الوزارة ولده الأفضل بن بدر الجمالي الذي تولى تدبير شئون البلاد، حتى أنه أبعد الابن الأكبر للمستنصر وهو نزار وولى الحكم لولده الأصغر أحمد أبو القاسم المستعلي باللّـه وعمره إحدى وعشرون سنة [٤٨٧ - ٤٩٥ هـ]"[2].
- في جمادى الأولى من سنة ٤٩١ هـ. ملك الفرنج مدينة أنطاكية بعد حصار شديد، بمواطأة من بعض المستحفظين على بعض الأبراج، "لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ٤٩٢ هـ. استحوذ الفرنج لعنهم اللّـه على بيت المقدس شرفه اللّـه".
- حتى إذا توفي الخليفة المستعلي سنة ٤٩٥ هـ خلفه ابنه المنصور أبو علي وعمره آنذاك خمس سنوات، ولقب بالآمر بأحكام اللّـه، واستمر الأفضل بن بدر الجمالي في القيام بتدبير الدولة[3].
- لم يصفُ العيش للصليبيين في ديار الإسلام إذ كانوا يتعرضون للغارات باستمرار ولهجوم المسلمين بشكل دائم، فبعد أن دخلوا القدس عام ٤٩٢ هـ.، ونقضوا ما كان بينهم وبين العبيديين من اتفاق في أن يحتل الصليبيون شمالي بلاد الشام، ويأخذ العبيديون جنوبها، غير أن الصليبين قد تجاوزوا هذا وأخذوا بيت المقدس، غير مبالين بالعبيديين بعد أن شعروا بالنصر، وساروا نحو هدفهم وهو بيت المقدس غير مهتمين بالنتائج، وما تؤول إليه، عندما تصرفوا هذا التصرف كانوا مخطئين سياسيا، وغير مقدرين للظروف؛ إذ أصبح الهجوم يأتيهم من قبل العبيديين من الجنوب، ومن قبل السلاجقة من الشمال.

---

١ تاريخ الدعوة الإسماعيلية لعارف تامر، الجزء الثالث ١٩٦ - ١٩٧

٢ التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر الدولة العباسية الجزء الثاني ٢٣٣

٣ التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر الدولة العباسية الجزء الثاني ٢٤٨

- وجه الوزير العبيدي الأفضل بن بدر الجمالي حملة كبيرة بقيادة سعد الدولة الذي كان حاكم بيروت، وقد تجمعت هذه الحملة في عسقلان، واتجهت عام ٤٩٤ هـ إلى الرملة لتهديد بيت المقدس ويافا، غير أنها فشلت، ولم تؤدِ الغرض الذي قامت من أجله.
- وعاد الأفضل فوجه عام ٤٩٥ هـ حملة ثانية وجعل إمرتها لابنه شرف المعالي، واتجهت إلى اللد والرملة كسابقتها، فخرج للقائها ملك بيت المقدس الصليبي بلدوين، فانهزم وفرَّ إلى الرملة واستعاد المسلمون الرملة، وحاصروا يافا، فجاءتها نجدات من البحر هاجم بها بلدوين المسلمين وانتصر عليهم، ثم أرسل الأفضل حملتين أحدهما برية والأخرى بحرية، فاستنجد بلدوين بأمير الرها وأمير أنطاكية فأنجداه، واستطاع بعدها إحراز النصر.
- ثم جهز الأفضل جيشا كبيرا بقيادة ابنه سناء الملك، ودعمه بأسطول بحري، وطلب دعم السلاجقة أيضا فأجابوه، وجرت أول معركة عام ٤٩٨ هـ، وظهر فيها التعاون بين السلاجقة والعبيديين، ثم أغاروا عام ٤٩٩ هـ على يافا، وفي العام التالي على الخليل، وفي العام الذي بعده وصلوا إلى أسوار بيت المقدس، وعادوا للإغارة على بيت المقدس عام ٥١٨هـ، وحاصروا مدينة يافا[Č].
- تولى أمر العبيديين الآمر أبو علي المنصور، [٤٩٥-٥٢٤ هـ]، وقد تخلص من الأفضل بن بدر الجمالي، الذي كان فيما يبدو مختلفا عن العبيديين؛ إذ ألغى الاحتفالات التي كانت تقوم بمصر بمناسبة المولد النبوي، ومولد فاطمة وعلي رضي اللّـه عنهما، ومولد الخليفة القائم بالأمر، وقد قُتل الأفضل عام [٥١٥ هـ]، وقام مقامه ابنه أحمد أبو علي بن الأفضل، والذي تلقب بالأكمل[Ď].
- ثم تولى الخليفة الحافظ دولة الفاطميين في مصر [٥٢٤-٥٤٤ هـ]، وخلفه ابنه الظافر إسماعيل، وسنه لا يزيد عن ستة عشر عاما [٥٤٤-٥٤٩ هـ]، وهو الخليفة الذي في عهده قيل بنقل الرأس من عسقلان، ومن اليوم الأول لخلافته امتد الاضطراب إلى

---

١ التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر الدولة العباسية الجزء الثاني ٢٦٩:٢٧٠

٢ التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر الدولة العباسية الجزء الثاني ٢٦٥

الدولة، فقد عزل الوزير العادل ابن سلار الذي كان ينتمي إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وعين مكانه نجم الدين ابن مصال الذي كان مكروها من الرعية، فتقاتل الوزيران في معركة قتل فيها ابن مصال، فاضطر الخليفة إلى تقليد ابن سلار الوزارة، وعمل على التخلص منه حتى نجح في اغتياله عام ٥٤٨ هـ.

- ثم قتل الخليفة الظافر وتولى ابنه الفائز أبو القاسم عيسى [ولد يوم الجمعة ١١ محرم سنة ٥٤٩ هـ - وتوفي ليلة الجمعة ١٧ رجب سنة ٥٥٥ هـ]، وبويع له وهو ابن خمس سنين وأيام، وجاء الأمير طلائع بن زريك أحد الولاة إلى القاهرة، وتسلم الوزارة، وأعاد الأمن، وتلقب بالملك الصالح، وفي أيامه كانت قصة نقل الرأس من عسقلان، وقد احتل الصليبيون عسقلان من العبيديين.
- وفي عام ٥٥٥ هـ توفي الخليفة الفائز، وله من العمر إحدى عشرة سنة وستة أشهر، فاختار ابن زريك خليفة من بعده عبد اللَّـه بن يوسف بن الحافظ، ولقبه بالعاضد، وكان مراهقا قارب البلوغ، فبايع له بالخلافة وزوجه ابنته، وبذلك ضمن السيطرة على أمور البلاد.

مما سبق يتبين أن الدولة الفاطمية كانت تحتضر في ذلك الوقت، وأنها بدأت في الانحسار من كل ناحية، وأن المسيطر على مقاليد الأمور هم الوزراء، ولا دور للخلفاء لصغر سنهم ولوقوعهم بين يدي وزراء متحكمين في مقتضيات الأمور، وأن هذه الدولة في حاجة إلى أمر يعيد تمسك الشعب المصري بها، وهي الدولة الإسماعيلية التي لا يجمعها مع عقيدة أهل السنة التي يدين بها الشعب المصري سوى حب آل البيت، ولهذا ظهرت الفكرة وتم تنفيذها بأثر رجعي كما يفعل الوزراء في هذه الأيام، وسنتبين خيوط المؤامرة فيما يلي:-

الفصل الثالث

مناقشة نقل الرأس من عسقلان

تتفق رواية المقريزي مع ما ذكره ابن خلدون وابن الأثير في تاريخيهما، بالنسبة لأحداث دخول الفاطميين إلى بيت المقدس، مع اختلافات في تحديد السنة، فبينما يقول ابن خلدون: إنها في [سنة ٤٩٠هـ] "وأن الأفضل بن بدر الجمالي وُلي على بيت المقدس، ورجع إلى مصر"[1]، يقول ابن الأثير في شعبان[٤٨٩ هـ]، "واستناب المصريون رجلا يعرف بافتخار الدولة واليا على بيت المقدس"[2]، وأما الاختلاف بين الروايات فهو في اكتشاف الفاطميين لرأس الحسين بعسقلان.

يقول المقريزي: "فدخل الأفضل [سنة ٤٩١ هـ] عسقلان، وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين ابن علي، فأخرجه وعطره وحمله في سقط إلى أجلّ دار بها، وعَمَّرَ المشهد، فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره، وسعى به ماشيا إلى أن أحله في مقره، وقيل إن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي، وكمله ابنه الأفضل"[3].

يقول عارف تامر مؤرخ الإسماعيلية المعاصر: "خرج الأفضل إلى عسقلان في رمضان ٤٩٢ هـ، ولدى وصوله أرسل للصليبيين كتابا يعلن فيه سخطه، ونقمته على ما فعلوه بالمسلمين، ويبدو أنه كان ميالا للدخول معهم في مفاوضات إلا أن الصليبيين لم يردوا عليه، وبادروه بالتأهب وحشد القوات، وبعد ذلك دارت رحى معركة ضروس بين جيش مصر والصليبيين كانت حصيلتها إبادة جيش مصر، واستسلام من نجا منه، أما الأفضل فقد لاذ بالفرار، وتخلص من المعركة بأعجوبة، فعاد بالبحر متخفيا تاركا عسقلان تحت رحمة الصليبيين

---

١ تاريخ ابن خلدون ٤: ٨٦، تاريخ الإسماعيلية عارف تامر ٣: ٢٢٥

٢ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨:١٩

٣ الخطط والآثار للمقريزي ١: ٤٢٧

الذين لم يتفقوا على دخولها، بعد هذه المعركة التي كانت درسا للأفضل، إذ عاهد اللّـه بأن لا يخرج للقتال، الحملة تلو الحملة، حتى إنه كثيرا ما كان يعهد لأولاده بقيادة هذه الحملات"[١].

ولم يرد ذكر لأحداث اكتشاف رأس الحسين في عسقلان، وبناء مشهد الرأس في كتب التاريخ المعتمدة، ومنها: الكامل لابن الأثير [متوفى سنة ٦٣٠ هـ]، أو البداية والنهاية لابن كثير [متوفى سنة ٧٧٤ هـ]، وتاريخ ابن خلدون [متوفى سنة ٨٠٨ هـ]، ولا في كتب التراجم مثل: سير أعلام النبلاء للذهبي، وتهذيب التهذيب لابن حجر، والإصابة في تمييز الصحابة، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ولا في تاريخ الإسماعيلية لعارف تامر. فقد كانت هناك أحداث كبيرة وخطيرة تشغل الأفضل بن بدر الجمالي عن البحث عن مكان رأس الحسين.

مشهد عسقلان في موضع دارس:

لاحظ كلمة دارس في عبارة المقريزي، حيث يقول: وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين، ويشرح لنا ابن منظور في لسان العرب كلمة دارس في اللغة العربية، فيقول: "درس الشيء والرسم يدرس دُرُوسا: عفا، ودرسته الريح، أي محته، ودرسه القوم: عفوا أثره"[٢].

إذن من أين علم الأفضل أن هذا المكان الدارس به رأس الحسين؟! وكيف يهمله الفاطميون بل والأمة كلها قرونا عديدة؟! إن روايات المؤرخين المحققين تشرح لنا ظروف الأفضل، والتي تجعلنا لا نقبل رواية الفاطميين من أساسها.

يقول ابن خلدون: "ثم لما استولى الفرنج [سنة ٤٩٠ هـ] على بيت المقدس جمع الأفضل أمير الجيوش بمصر العساكر، وسار إلى الفرنج، فساروا إليهم، وكبسوهم على غير أهبة فهزموهم، وافترق عسكر مصر، وقد لاذوا بخم[٣] الشعراء هناك، فأضرموا عليهم نارا، فاحترقوا وقتل من ظهر، ورجع الفرنج إلى عسقلان، فحاصروها، حتى أنزلوا لهم عشرين

١ تاريخ الإسماعيلية لعارف تامر ٣: ٢٣١

٢ لسان العرب لابن منظور ٣: ١٣٥٩

٣ الـخِمّ: البستان الفارغ.

ألف دينار [أي دفعوا لهم أموالا] فارتحلوا"[1]. ويقول ابن الأثير: "وفي رمضان من سنة ٤٩٢ هـ بلغ المصريون ما تم على أهل بيت المقدس، فجمع الأفضل أمير الجيوش العساكر، وحشد وسار إلى عسقلان، وأرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهددهم، فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على إثره، وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول، ولم يكن عند المصريين خبر وصولهم، ولا من حركتهم، ولم يكونوا على أهبة القتال، فنادوا إلى ركوب خيولهم، ولبسوا أسلحتهم، وأعجلهم الفرنج فهزموهم، وقتلوا منهم من قتل، وغنموا ما في العسكر من مال وسلاح، وغير ذلك، وانهزم الأفضل فدخل عسقلان، ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز، وكان هناك كثيرا، فأحرق الفرنج بعض الشجر، حتى هلك من فيه، وقتلوا من خرج منه، وعاد الأفضل في خواصه إلى مصر ونازل الفرنج عسقلان، وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة عشرين ألف دينار، فعادوا إلى بيت المقدس"[2].

لا شك أن من كان هذا حاله وفي معارك مستمرة لا يتفرغ لتشييد مشهد لرأس الحسين، يبقى فيه الرأس خمسين عاما ثم ينقله الفاطميون إلى القاهرة على يد طلائع بن زريك، أما كان من الأولى أن يأخذ معه الرأس إلى القاهرة، وهو ينسحب من المعركة؟! أليس في تركه للرأس هدما كاملا لفكرة أن الرأس نقل إلى القاهرة خوفا من وقوعه في يد الصليبيين؟! أليس تشييد مسجد الرأس في عسقلان، ودفن الرأس فيه، ثم الفرار إلى القاهرة، وترك عسقلان تحت رحمة الصليبيين خمسين عاما أمر لا يستقيم مع المنطق والعقل؟!

---

١ تاريخ ابن خلدون٤: ٨٦

٢ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨:١٩٠

الفصل الرابع

ابن تيمية يحسم القضية

المشهد المنسوب إلى الحسين بن عليّ - رضي اللّـه عنهما - الذي بالقاهرة كذب مختلق، بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم، الذين يرجع إليهم المسلمون في مثل ذلك، لعلمهم وصدقهم، ولا يعرف عن عالم مسمى معروف بعلم وصدق أنه قال: إن هذا المشهد صحيح، وإنما يذكره بعض الناس قولا عمن لا يُعرف، على عادة من يحكي من مقالات الرافضة وأمثالهم من أهل الكذب، فإنهم ينقلون أحاديث وحكايات، ويذكرون مذاهب ومقالات، وإذا طالبتهم بمن قال ذلك ونقله، لم يكن لهم عصمة يرجعون إليها، ولم يسمّوا أحدًا معروفًا بالصدق في نقله، ولا بالعلم في قوله، بل غاية ما يعتمدون عليه، أن يقولوا: أجمعت الطائفة الحقة، وهم عند أنفسهم الطائفة الحقة، الذين هم عند أنفسهم المؤمنون، وسائر الأمة كفار.

ومن هذا الباب نقل الناقل: أن هذا مشهد الحسين ﵁، بل وكذلك مشاهد غير هذا مضافة إلى الحسين، بل ومشاهد مضافة إلى قبر الحسين ﵁، فإنه باتفاق الناس: أن هذا المشهد بني عام بضع وأربعين وخمسمائة، وأنه نقل من مشهد بعسقلان! وأن ذلك المشهد - بعسقلان - كان قد أحدث بعد التسعين وأربعمائة، فأصل هذا المشهد القاهري هو ذلك المشهد العسقلاني، وذلك العسقلاني محدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة وثلاثين سنة، وهذا بعد مقتله بقريب من خمسمائة سنة، وهذا مما لم يتنازع فيه اثنان ممن تكلموا في هذا الباب من أهل العلم، على اختلاف أصنافهم - كأهل الحديث - ومصنفي أخبار القاهرة، ومصنفي التواريخ، وما نقله أهل العلم طبقة عن طبقة وهذا بينهم مشهور متواتر، سواء قيل: إن إضافته إلى الحسين صدق أو كذب - لم يتنازعوا أنه نقل من عسقلان في أواخر الدولة العبيدية.

وإذ كان أصل هذا المشهد القاهري هو ما نقل عن ذلك المشهد العسقلاني باتفاق الناس وبالنقل المتواتر، فمن المعلوم أن قول القائل: إن ذلك الذي بعسقلان هو مبنى على رأس الحسين ﵁: قول بلا حجة أصلا، فإن هذا لم ينقله أحد من أهل العلم الذين من شأنهم نقل هذا لا من أهل الحديث، ولا من علماء الأخبار والتواريخ، ولا من العلماء المصنفين في النسب: نسب قريش أو نسب بني هاشم ونحوه، وذلك المشهد العسقلاني أحدث في آخر المائة

الخامسة، لم يكن قديمًا، ولا كان هناك مكان قبله: أو نحوه مضاف إلى الحسين، ولا حجر منقوش ولا نحوه مما يقال، إنه علامة على ذلك. فتبين بذلك، أن إضافة المُضيف مثل هذا إلى الحسين قول بلا علم أصلا، وليس مع قائل ذلك ما يصلح أن يكون معتمدًا، لا نقل صحيح ولا ضعيف، بل لا فرق بين ذلك وبين أن يجيء الرجل إلى بعض القبور التي بأمصار المسلمين، فيدعى أن في واحد منها رأس الحسين، أو يدعي أنه قبر نبي من الأنبياء، أو نحو ذلك مما يدعيه كثير من أهل الكذب والضلال.

اعتراض ابن تيمية على مخالفيه قائلا:نحن نجزم بأنه ليس رأس الحسين، ولا كان ذلك المشهد العسقلاني مشهدًا للحسين، من وجوه منها:

الوجه الأول: لِـمَ تأخر ظهوره أربعة قرون؟

لو كان رأس الحسين هناك لم يتأخر كشفه وإظهاره إلى ما بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة سنة، ودولة بني أمية انقرضت قبل ظهور ذلك بأكثر من ثلاثمائة وبضع وخمسين سنة، وقد جاءت خلافة بني العباس، وظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق، وغير العراق ما كان كثير منها كذبًا، وكانوا عند مقتل الحسين بكربلاء قد بنوا هنالك مشهدًا، وكان ينتابه أمراء عظماء، حتى أنكر ذلك عليهم الأئمة، وحتى إن المتوكل تقدم فيه بأشياء، يقال: أنه بالغ في إنكار ذلك، وزاد على الواجب.

دع خلافة بني العباس في أوائلها، وفي حال استقامتها، فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون أبدًا المشاهد، سواء كانت صدقًا أو كذبًا، كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام حينئذ يغدّ في قوته وعنفوانه، ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم في شيء في بلاد الإسلام - لا الحجاز، ولا اليمن، ولا الشام، ولا العراق، ولا مصر، ولا خرسان، ولا المغرب - مشهد، لا على قبر نبي، ولا صاحب، ولا أحد من أهل البيت، ولا صالح أصلا، بل عامة المشاهد محدثة بعد ذلك. وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس، وتفرّقت الأمة وكثرت فيهم الزنادقة المتسبون إلى الإسلام، وعلت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك في دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القَدَّاحية بأرض المغرب، ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر.

فإذا كان مع هذا لم يظهر حتى مشهد للحسين بعسقلان، مع العلم بأنه لو كان رأسه بعسقلان لكان المتقدمون أعلم بذلك من المتأخرين، فإذا كان مع توفر الهمم، والدواعي، والتمكين، والقدرة لم يظهر ذلك، علم أنه باطل مكذوب مثل من يدعي أنه شريف علوي، وقد علم أنه لم يدع هذا أحد من أجداده، مع حرصهم على ذلك لو كان صحيحًا، فإنه بهذا يعلم كذب هذا المدعي، وبمثل ذلك علمنا كذب من يدعي النص على علي، أو غير ذلك من الأمور التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها ولم ينقل.

الوجه الثاني: الرأس لم يغترب.

إن الذين جمعوا أخبار الحسين ومقتله مثل: أبي بكر بن أبي الدنيا، وأبي القاسم البغوي وغيرهما، لم يذكر أحد منهم أن الرأس حمل إلى عسقلان، ولا إلى القاهرة، وقد ذكر نحو ذلك أبو الخطاب بن دِحْية في كتابه: "بالعلم المشهور في فضائل الأيام والشهور"، ذكر أن الذين صنفوا في مقتل الحسين أجمعوا أن الرأس لم يغترب [أي يرحل غربا سواء عسقلان أو مصر]، وذكر هذا بعد أن ذكر أن المشهد الذي بالقاهرة كذب مختلق، وأنه لا أصل له، وبسط القول في ذلك.

الوجه الثالث: صحة خبر نقله للمدينة.

إن الذي ذكره من يعتمد عليه من العلماء والمؤرخين، أنَّ الرأس حمل إلى المدينة ودفن عند أخيه، ومن المعلوم أن الزبير بن بكَّار، صاحب كتاب "أنساب قريش"، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، صاحب "الطبقات الكبرى"، ونحوهما من المعروف بالعلم والثقة والاطلاع، أعلم بهذا الباب، وأصدق فيما ينقلونه به من المجاهيل والكذابين، وبعض أهل التواريخ الذين لا يوثق بعلمهم ولا أصدقهم، بل قد يكون الرجل صادقًا، ولكن لا خبرة له بالأسانيد، حتى يميز بين المقبول والمردود، أو يكون سيء الحفظ أو متهمًا بالكذب، أو بالتزيد في الرواية، كحال كثير من الإخباريين والمؤرخين، ولا سيما إذا كان مثل أبي مِخنف لوط بن يحيى[١] وأمثاله.

ومعلوم أن الواقدي نفسه خير عند الناس من مثل هشام بن الكلبي، وأبيه محمد بن السائب وأمثالهما، وقد علم كلام الناس في الواقدي، فإن ما يذكره هو وأمثاله يُعتضد به،

---

١ ذكره ابن عدي وقال: شيعي منحرف.

ويستأنس به، وأما الاعتماد عليه بمجرده في العلم فهذا لا يصلح، فإذا كان المعتمد عليهم يذكرون أنه دفن بالمدينة، وقد ذكر غيرهم أنه إما أنه عاد إلى جوار البدن، وإما أنه بحلب، أو بدمشق، أو نحو ذلك من الأقوال التي لا أصل لها، ولم يذكر أحد ممن يُعتمد عليه أنه دفن بعسقلان – تأكد بطلان هذا الزعم ، إذ يمتنع أن يكون أهل العلم والصدق على الباطل، وأهل الجهل والكذب على الحق في الأمور النقلية.

الوجه الرابع: الرأس لم يُرسل إلى دمشق.

الذي ثبت في صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: "أُتي عبيد اللَّـه بن زياد برأس الحسين عليه السلام، فجعل في طست، فجعل ينكت، وقال: في حسنه شيئا [وفي الترمذي: ما رأيت مثل هذا حسنا]، فقال أنس: كان أشبههم برسول اللَّـه ﷺ، وكان مخضوبا بالوسمة"[1]، ولكن بعض الناس روى بإسناد منقطع أن هذا النكت كان من يزيد بن معاوية، وبحضرة أبي برزة، وأنس وهذا باطل، فإن أبا برزة، وأنسا كانا بالعراق لم يكونا بالشام، ويزيد بن معاوية كان بالشام، لم يكن بالعراق حين مقتل الحسين، فمن نقل أنه نكث بالقضيب بحضرة هذين قدَّامه فهو كاذب قطعًا، كذبًا معلومًا بالنقل المتواتر، ومعلوم أيضا بالنقل المتواتر: أن عبيد اللَّـه بن زياد كان هو أمير العراق حين مقتل الحسين، وقد ثبت بالنقل الصحيح أنه هو الذي أرسل عمر بن سعد مقدمًا على الطائفة التي قاتلت الحسين، وامتنع عمر من ذلك، فأرغبه وأرهبه حتى فعل ما فعل.

فقد تبين أن القصة التي يذكرون فيها حمل الرأس إلى يزيد، ونكته بالقضيب، كذبوا فيها، ومن ذلك ما رواه الطبري في تاريخه أن ذلك كان بحضرة أبي برزة الأسلمي[2]، وإن كل الحمل إلى ابن زياد – وهو الناكت بالقضيب– ولم ينقل بإسناد معروف، أن الرأس حمل إلى قدَّام يزيد،

---

١ حديث أنس بن مالك موقوف أخرجه صحيح البخاري ٣٤٦٥، والترمذي ٣٧١١، وأحمد في مسنده ١٣٢٥١، ومخضوبا بالوسمة: أي مصبوغا بنوع من النبات.

٢ تاريخ الطبري ٥: ٢٣٥ من رواية أبي مخنف، أن أبا برزة، قال ليزيد: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين، أما لقد أخذك قضيبك من ثغره مأخذا لربما رأيت رسول الله ﷺ يرشفه، وأبو مخنف هو لوط بن يحيى يقول عنه الذهبي في المغني في الضعفاء: ساقط، وإخباري تالف، لا يوثق به، وتركه أبو حاتم وغيره، وقال الدارقطني: إخباري ضعيف، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال مرة ليس بشيء، وقال ابن عدي: شيعي محتلق، صاحب أخبارهم. لسان الميزان ٦٦٩٢ ٣: ٤٢٠

ولم أرَ في ذلك إلا إسنادًا منقطعًا، قد عارضه من الروايات ما هو أثبت منها وأظهر - نقلوا فيها: أن يزيد لما بلغه مقتل الحسين أظهر التألم من ذلك، وقال: لعن اللّـه أهل العراق، لقد كنت أرضى من طاعتهم بدون ذلك. وقال في ابن زياد: أما إنه لو بينه وبين الحسين رحم لما قتله[١]، وأنه ظهر في داره الندب لقتل الحسين، وأنه لما قدم عليه أهله، وتلاقى النساء تباكين، وأنه خيَّر ابنه عليًّا بين المقام عنده والسفر إلى المدينة، فاختار السفر إلى المدينة فجهَّزه إلى المدينة جهازًا حسنًا، فهذا ونحوه مما نقلوه بالأسانيد التي هي أصح وأثبت من ذلك الإسناد المنقطع المجهول.

والمقصود أن نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له في زمن يزيد، فكيف بنقله بعد زمن يزيد؟ وإنما الثابت هو نقله إلى أمير العراق عبيد اللّـه بن زياد بالكوفة، وأنه دفن بالمدينة.

الوجه الخامس: ما حكمة دفن الرأس بعسقلان؟

لو قُدِّر أن الرأس حُمِلَ إلى يزيد، فأي غرض كان لهم في دفنه بعسقلان، وكانت إذ ذاك ثغرًا يقيم بها المرابطون؟ فإن كان قصدهم تَعفِية خبره فمثل عسقلان تظهره، لكثرة من ينتابها للرباط، وإن كان قصدهم بركة البقعة، فكيف يقصد هذا من يقول أنه عدو له مستحل لدمه، ساعٍ في قتله؟

الوجه السادس: مَن زار الرأس حين كان بعسقلان؟

أنه لم يعرف قط أن أحدًا، من مؤرخي السنة، أو الشيعة، كان ينتاب ناحية عسقلان لأجل رأس الحسين، ولا يزورونه ولا يأتونه، كما أن الناس لم يكونوا ينتابون الأماكن التي تضاف إلى الرأس في هذا الوقت، كموضع بحلب فإذا كانت تلك البقاع لم يكن الناس يقصدونها، وإنما كانوا ينتابون كربلاء؛ لأن البدن هناك، كان دليلا على أن الناس فيما مضى لم يكونوا يعتقدون أن الرأس في شيء من هذه البقاع، ولكن الذي اعتقدوه هو وجود البدن بكربلاء حتى كانوا ينتابونه في زمن أحمد وغيره، حتى أن في مسائله مسائل فيما يفعل عند قبره، ذكرها أبو بكر الخلال في جامعة الكبير في زيارة المشاهد.

---

١ قال يزيد: "قبح الله ابن مرجانة لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم، ولا بعث بكم هكذا" تاريخ الطبري ٤: ٣٥٣

ولم يذكر أحد من العلماء أنهم كانوا يزورون التي بالشام موضع الرأس في شيء من هذه البقاع غير المدينة، فعلم أن ذلك لو كان حقًا لكان المتقدمون به أعلم، ولو اعتقدوا ذلك لعملوا ما جرت عادتهم بعمله، ولأظهروا ذلك وتكلموا له، كما تكلموا في نظائره فلما لم يظهر عن المتقدمين - بقول ولا فعل - ما يدل على أن الرأس في هذه البقاع، علم أن ذلك باطل، واللّه أعلم.

الوجه السابع: تسليم الرأس لأهله عادة العرب.

إن دفنه بالبقيع هو الذي تشهد له عادة القوم، فإنهم كانوا في الفتن، إذا قُتل الرجل فيهم - ولم يكن منهم- سلَّموا رأسه وبدنه إلى أهله، كما فعل الحجاج بابن الزبير لما قتله وصلبه، ثم سلَّمه إلى أهله، وقد عُلم أن سعي الحجاج في قتل ابن الزبير، وأن ما كان بينهما من الحروب أعظم بكثير مما كان بين الحسين وبين خصومه، فإن ابن الزبير ادعاها بعد مقتل الحسين، وبايعه أكثر الناس، وحاربه يزيد حتى مات وجيشه محاربون له بعد الحرَّة، ثم تولى عبد الملك وغلبه على العراق مع الشام، ثم بعث إليه الحجاج بن يوسف، فحاصره الحصار المعروف حتى قتل، ثم صلبه، ثم سلَّمه إلى أمه، وقد دُفن بدن الحسين في مصرعه بكربلاء، ولم يُنبش، ولم يمثَّل به، فلِمَ يمتنعون من تسليم رأسه إلى أهله، كما سلموا بدن ابن الزبير إلى أهله، وإذا تسلم أهله رأسه، فلم يكونوا ليدعوا دفنه عندهم بالمدينة المنورة عند عمه، وأمه، وأخيه، قريبًا من جده ﷺ، ويدفنونه بالشام، حيث لا أحد إذ ذاك ينصرهم على خصومهم؟

الوجه الثامن: العلماء يعرفون كذب مشهد القاهرة.

أن يقال: ما زال أهل العلم في كل وقت وزمان يذكرون في هذا المشهد القاهري المنسوب إلى الحسين: أنه كذب ومَيْن[١]، كما يذكرون ذلك في أمثاله من المشاهد المكذوبة، مثل المشاهد المنسوبة بدمشق إلى أبي بن كعب وأويس القُرني، أو هود أو نوح أو غيرهما، والمشهد المنسوب بحران إلى جابر بن عبد اللّه، وبالجزيرة إلى عبد الرحمن بن عوف، وعبد اللّه بن عمر ونحوهما، وبالعراق إلى علي رضي الله عنه ونحوه، وكذلك ما يضاف إلى الأنبياء غير قبر نبينا محمد ﷺ وإبراهيم الخليل عليه السلام، فإنه لما كان كثير من المشاهد مكذوبًا مختلقًا، كان أهل العلم في كل وقت

١ المين: الكذب والافتراء.

يعلمون أن ذلك كذب مختلق، والكتب والمصنفات المعروفة عن أهل العلم بذلك مملوءة من مثل هذا، يعرف ذلك من تتبعه وطلبه، ومازال الناس في مصنفاتهم ومخاطباتهم يعلمون أن هذا المشهد القاهري من المكذوبات المختلقات، ويذكرون ذلك في المصنفات، حتى من سكن هذا البلد من العلماء بذلك.

فقد ذكر أبو الخطاب بن دحية في كتابه "العلم المشهور" في هذا المشهد فصلا مع ما ذكره في مقتل الحسين من أخبار ثابتة، ومع هذا فقد ذكر أن المشهد كذب بالإجماع، وبيَّن أنه نقل من عسقلان في آخر الدولة العُبَيْدية، وأنه وضع لأغراض فاسدة، وأنه بعد ذلك بقليل أزال اللّـه تلك الدولة وعاقبها بنقيض قصدها، ومازال ذلك مشهورًا بين أهل العلم حتى أهل عصرنا من ساكني الديار المصرية: القاهرة وما حولها.

فقد حدثني طائفة من الثقات، عن الشيخ أبي عبد اللّـه محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد، وطائفة عن الشيخ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، وطائفة عن الشيخ أبي محمد بن القسطلاني، وطائفة عن الشيخ أبي عبد اللّـه محمد القرطبي، صاحب التفسير وشرح أسماء اللّـه الحسنى، وطائفة عن الشيخ عبد العزيز الديريني -كل من هؤلاء حدثني عنه من لا أتهمه، وحدثني عن بعضهم عدد كثير، كل يحدثني عمن حدثه من هؤلاء، أنه كان ينكر أمر هذا المشهد، ويقول: "إنه كذب، وإنه ليس فيه الحسين ولا رأسه"، بل القرطبي والقسطلاني ذكروا بطلان أمر هذا المشهد في مصنفاتهما، وبينا فيها أنه كذب كما ذكر أبو الخطاب بن دحية، وعنه أخذ أبو عمرو بن الصلاح ونحوه، وليس الاعتماد في هذا على واحد بعينه بل هذا إجماع من هؤلاء، ومن هؤلاء من كان يوصي أصحابه بألا يظهروا ذلك عنه، خوفًا من شر العامة بهذه البلاد لما فيهم من الظلم والفساد.

خلاصة رأي ابن تيمية: إن مشهد رأس الحسين المشهور عند الناس بمصر والشام كذب واختلاق، وإفك وبهتان، واللّـه أعلم.

الفصل الخامس

القول الفصل في القضية

يطيب لنا قبل أن نفصل في القضية أن ننقل قول الحافظ ابن كثير عن موضع رأس الحسين: "وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر، الذي يقال له: تاج الحسين، بعد سنة خمسمائة، وقد نص غير واحد من أهل العلم على أنه لا أصل لذلك، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما ادعوه من النسب الشريف، وهم في ذلك كذبة خونة، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء"[١].

بعد هذه الجولة الساخنة من الحوار العلمي الرائع الذي يجريه أكابر علماء الأمة كابن تيمية، وابن كثير، والباقلاني، وغيرهم، نقول: إن دفاع الشيخ/ محمد زكي إبراهيم بأي عدد من الروايات التي تنص على نقل رأس من عسقلان إلى القاهرة، أو أن أحدا زار الضريح بالقاهرة بعد دفنه فيه، لا دخل له بقضية إثبات وجود رأس الحسين ﷺ بالقاهرة، فنحن نوافق الشيخ/ محمد زكي على أدلته التي تقول: إن الفاطميين نقلوا رأسا - أي رأس - من عسقلان إلى القاهرة، ومهما نقل الشيخ عن مشايخ الصوفية، فهم يتحدثون عن مرحلة ما بعد بناء المشهد في القاهرة، ولكن ما يلزمه في ظل عدم وجود أدلة تثبت وجود الرأس أولا في عسقلان، أن يفسر الداعي الذي جعل يزيد يدفن الرأس في عسقلان، ولِـمَ أخرجه من دمشق؟ بل إن المسألة التي لم تخطر على بال كل من تحدث في هذا الموضوع هي: أيعقل أن تترك السيدة زينب رضي اللّـه عنها رأس أخيها الحسين في دمشق، ويطيب لها أن تترك رأسه بين يدي يزيد يعبث بها كما افترت روايات الشيعة، ألا تطلب من يزيد أن تأخذ الرأس معها لتدفنها في المدينة بجوار أخيه وأمه؟ إن يزيد وعد زينب وكل من كان معها من آل البيت بإجابة كل ما يطلبونه، ألا يطلب علي زين العابدين رأس أبيه، ألا تطلب الرباب بنت امرئ القيس رأس زوجها؟ أليس المطلب لجميع آل البيت أن يحملوا معهم رأس الحسين إلى المدينة ليدفنوه إلى جوار أمه؟ إن

---

١ البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٧١٣

الفطرة السليمة تقتضي ألا ترتحل قافلة آل البيت إلى المدينة إلا والرأس معهم، إن أسماء بنت أبي بكر جعلت تخاطب الحجاج أن ينزل ولدها لتدفنه عدة مرات، كما وردت بذلك الروايات، أينسى آل البيت رأس عميد المنزل النبوي هكذا ويسافرون إلى المدينة؟! لم يلتفت أحد إلى هذه الناحية رغم أنها دليل وحده، وحجة بذاتها، ونظرا لأن أحدا من كتب التاريخ لم ينقل هذا الخبر، فالتفسير الوحيد الصحيح لذلك أحد أمرين:

إما أن الرأس لم يحمل أساسا إلى دمشق كما يقول ابن تيمية، وفي هذه الحالة يكون قد نقل إلى المدينة المنورة من الكوفة رأسا بناءً على تعليمات من يزيد، وحسب ما سارت عليه العرب في عاداتهم.

وفي حالة نقل الرأس إلى دمشق ولا تطلبه وتأخذه معها السيدة زينب، أن يكون يزيد قد أمر أمامهم أن يسبقهم الرأس إلى المدينة ليدفن في البقيع، وبالتالي لا مجال لطلب السيدة زينب لأخذ الرأس معها إلى المدينة.

كما أن هناك مصلحة أخرى ليزيد في رد الرأس إلى المدينة، ففي ذلك رسالة لكل من تسول له نفسه بالخروج عليه، وأيضا رسالة لعبد اللّـه بن الزبير الذي يسير في نفس الخط الذي سار فيه الحسين، كل هذه القرائن والشواهد تؤكد مع الأخبار الصحيحة المنقولة عن انتقال الرأس إلى المدينة ودفنه بالبقيع إلى جوار أمه سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء رضوان اللّـه عليها.

ومما سبق يتبين لنا أن رأس الحسين نقل من كربلاء إلى الكوفة أولا عند عبيد اللّـه بن زياد، ثم جاءه أمر من يزيد بنقله إلى المدينة، وإلى ذلك ذهب شيخ الإسلام.

والرأي الثاني أنه أرسل إلى دمشق فأمر يزيد أن يدفن بالبقيع فسبق آل البيت إلى المدينة، وفي الروايتين تصح روايات استقبال عمرو بن سعيد أنه هو الذي استقبل الرأس ودفنها بالبقيع.

ويكون كل من مسجد عسقلان ومسجد الرأس بالقاهرة مختلقة ولا أساس لكل الروايات التي تدافع عن استقرار الرأس في القاهرة. واللّـه تعالى أعلم.

الباب الخامس

حقيقة

المشهد الزينبي

١. أقوال شهود عيان

٢. حقائق التاريخ

٣. كشف الصوفية

٤. مناقشة روايات دخول زينب مصر

٥. مشاهد الرؤيا

٦. مشاهد كاذبة ومختلقة

الفصل الأول

أقوال شهود العيان

لم يرد ذكر قبر السيدة زينب الكبرى في العديد من روايات شهود العيان من الرحالة الذين رحلوا إلى مصر، وكتبوا عن آثارها، وتحدثوا عن مزاراتها، وبالطبع أهمها مشاهد تخص آل البيت، ولبيان أهمية هذا السقط نورد قائمة بأشهر القبور التي اتفق على زيارتها الرحالة، وهي:

١. السيدة/ نفيسة بنت زيد بن حسن الأنور [ت ٢٠٨ هـ].
٢. السيدة/ فاطمة بنت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.
٣. السيدة/ آمنة بنت محمد بن علي بن الحسين.
٤. السيدة/ رقية بنت علي".
٥. السيدة/ أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر.
٦. السيدة/ أم عبد اللّـه بنت القاسم بن محمد بن جعفر.
٧. السيدة/ أم كلثوم بنت محمد بن جعفر الصادق.
٨. السيدة/ زينب بنت يحيى بن زيد بن علي بن الحسين [ت ٢٤٠ هـ].
٩. السيدة/ مريم بنت علي بن أبي طالب.

- رأى ابن جبير الأندلسي أثناء رحلته إلى القاهرة [عام ٥٧٨ هـ] من هذه القائمة المشاهد أرقام [٥،٦،٧،٨]، وقال: "هذا ذكر ما حصله العيان من هذه المشاهد العلوية المباركة، وهي أكثر من ذلك، وأخبرنا أن في جملتها مشهدا مباركا لمريم بنت علي [رقم ٩]، وهو مشهور لكنا لم نعاينه"[1].
- بينما ذكر السائح الهروي [ت ٦١١] المشاهد [من رقم ١ إلى ٤ فقط][2].
- وذكر ياقوت الحموي البغدادي [ت ٦٢٤ هـ] المشاهد [من رقم ١ إلى ٦ فقط]"[3].

١ رحلة ابن جبير
٢ الإشارات في معرفة الزيارات للسائح الهروي٣٥
٣ معجم البلدان ٤: ٥٥٤

- ويصف ابن بطوطة المغربي المزارات الشريفة عند وصوله مصر سنة [٧٤٨ هـ]، فيقول: "المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام،... ومنها تربة السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور، وكانت مجابة الدعوة، ومنها تربة الإمام أبي عبد اللّـه محمد بن إدريس الشافعي ﷺ "، ولا يذكر فيهم مشهد السيدة زينب رضي اللّـه عنها.
- ابن دقماق المصري [٧٩٢ هـ] ذكر زينب، وكلثم بنت يحيى بن زيد بن علي بن الحسين المتوج، وقال: "إن أول علوي دخل مصر هو علي بن محمد بن عبد اللّـه بن الحسن المثنى دخلها [١٤٥هـ]"[١].
- وذكر خليل بن شاهين الزاهري الإسكندري [ت ٨٧٣] ذكر المشاهد [من رقم ١ إلى ٦ فقط].

ولا نجد عند كل هؤلاء أي ذكر لقبر ينسب إلى العقيلة زينب بنت علي بن أبي طالب، فمن أين جاء هذا القبر؟ وهنا يجدر الإشارة إلى خطأ وقع فيه الرحالة الكوهيني الذي دخل القاهرة في [١٤ محرم ٣٦٩ هـ] في خلافة أبو تميم نزار بن المعز لدين اللّـه الفاطمي، فزار عدة مشاهد منها المشهد الزينبي، وقال: "دخلنا مشهد زينب بنت علي فوجدناه داخل دار كبيرة، وهو في طرفها البحري ليشرف على الخليج، فنزلنا إليه بدرج، وعاينا الضريح، فوجدنا عليه دربوزا،... ومكتوب على باب الحجرة هذا ما أمر به عبد اللّـه ووليه أبو تميم أمير المؤمنين الإمام العزيز باللّـه صلوات اللّـه عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين بعمارة هذا المشهد على مقام السيدة الطاهرة بنت الزهراء البتول زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب صلوات اللّـه عليها وعلى آبائها الطاهرين وأبنائها المكرمين".

وينكر العلماء ما ورد على لسان الرحالة الكوهيني لسبب يبرزه لنا البحاثة السابقي بقوله: "إن هذا المشهد ليس للسيدة زينب الكبرى إذ لو كان لها مشهد بمصر بهذه الأبهة والفخامة التي يذكرها، فلماذا اختفى عن بقية الرحالين والمؤرخين، ولماذا اختفى أمره على معاصر الكوهيني المؤرخ الكبير الذي صرف همه في تحرير حوادث مصر خاصة، وهو ابن زولاق

١ الانتصار لابن دقماق المصري ٤:٦٥، ١٢١

المتوفى ٣٨٨ هـ، الذي كان حيا في مصر وقت زيارة الكوهيني، بينما ينكر دخول أي ولد لعلي لصلبه في مصر، ويقول أول من دخلها سكينة بنت علي بن الحسين، فالظاهر أن ما رآه الكوهيني هو مشهد زينب بنت يحيى المتوج بن الحسن الأنور ابن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب، وبه قال شيخ الأزهر الشيخ محمد بخيت المطيعي"[١].

وتعليقنا على هذا التحليل أن" ما رآه الكوهيني يثبت بما لا يدع مجالا للشك التزوير المتعمد الذي تخطط وتنفذ له الدولة الفاطمية كي تروج للشعب المصري زيارة أضرحة آل البيت، وهي تعلم يقينا كذب دعواها"؛ أي أن الكوهيني اطلع على لوحة كتبها الخليفة نزار بن المعز لدين اللّـه الفاطمي للترويج لحب آل البيت، كما فعل الوزير طلائع بن زريك بعد ذلك بمائتي سنة في مشهد رأس الحسين، والخطأ الذي وقع فيه الكوهيني هو تصديقه لهذه الخدعة، وترديده لها دون أن يتأملها، أو يراجعها مع علماء عصره.

١ مرقد العقيلة زينب للبحاثة الشيخ محمد حسنين السابقي ٥٨

الفصل الثاني

حقائق التاريخ

اتفقت كلمة المؤرخين على أن السيدة زينب بنت علي لم تدخل مصر، وبالتالي لم تدفن فيها، ومن هؤلاء ابن ميسّر [٦٧٧ هـ]، وابن تغري بردي [٧٠٤ هـ]، وابن الزيات المصري [٨١٤ هـ] الذي ذكر جميع المسميات بزينب المدفونات بمصر في قائمة تضم [١١]ممن اسمهن زينب، وليس فيهن زينب بنت علي بن أبي طالب، وكذا تلميذه نور الدين السخاوي [٨١٤ هـ] ترجم للمدفونات بمصر، وذكر منهن [٤] اسمهن زينب، وليست منهن زينب الكبرى، وكذلك ابن ظهيرة المصري [٨٩١ هـ]، والحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي [٩٠٢ هـ]، وله تأليف منفرد عن السيدة زينب الكبرى، ولم يذكر أنها دفنت في مصر، والحافظ السيوطي [٩١١ هـ] له رسالة العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية لم يشر فيها إلى سفر زينب الكبرى إلى مصر، ودفنها في أراضيها"[١].

ويروي ابن تيمية في إحدى مناظراته بمصر: "أن بعض النصارى يقول لبعض المسلمين: لنا سيد وسيدة، ولكم سيد وسيدة، لنا السيد المسيح والسيدة مريم، ولكم السيد الحسين والسيدة نفيسة"، ولو كان قبر السيدة معلوما عند المصريين لكانت أولى بالذكر من السيدة نفيسة رضي اللّـه عنها.

لم يتعرض ابن تيمية إلى مشهد السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب بالقاهرة، حيث إنه لم يكن موجودا في زمانه، بل اختلق بعد وفاته بثلاثة قرون، وهذا المشهد يعرف أهل العلم أنه قبر مختلق من أساسه، ويكفي أنه تأسس بناء على رؤيا رآها علي الخواص شيخ عبد الوهاب الشعراني في القرن العاشر الهجري، وأن هذا القبر لم يره أحد ممن زار مصر أو كتب في تاريخها طوال عشرة قرون كاملة.

وذكر المقريزي [٨٤٥ هـ] مشهد زين العابدين يعنى مشهد رأس زيد بن علي، ومشهد أم كلثوم بنت محمد بن جعفر الصادق، ومشهد السيدة نفيسة، وقال في موضع آخر: "وفي خارج

---

١ الحاوي للفتاوى للسيوطي ٢: ١٧٩

باب النصر في أوائل المقابر قبر السيدة زينب بنت أحمد بن جعفر بن محمد بن الحنفية يزار، وتسميه العامة مشهد السيدة زينب"، وهذا التصريح يكشف منشأ خطأ العامة وانتشار هذا الوهم.

ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: "وبمصر من المشاهد والمزارات: بالقاهرة مشهد به رأس الحسين بن علي ﷺ، نقل إليها من عسقلان، وهو خلف دار المملكة يزار، وبين مصر والقاهرة قبة يقال: إنها قبر السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ومشهد يقال: إن فيه قبر فاطمة بنت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقبر آمنة بنت محمد الباقر، ومشهد فيه قبر رقية بنت علي بن أبي طالب،"[١]، واستمر يعدد باقي المزارات دون أي ذكر لقبر السيدة زينب رضي اللّـه عنها.

---

١ معجم البلدان ٥: ١٤٢

الفصل الثالث

كشف الصوفية

يترجم الشعراني المتوفى [سنة ٩٧٣ هـ] لشيخه علي الخواص قائلا: "كان أُمَّيا لا يكتب ولا يقرأ، وكان يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاما نفيسا تحير فيه العلماء، وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات، وكان إذا قال قولا لا بد أن يقع على الصفة التي قال"، ويستطرد في مناقب شيخه قائلا: "إنه أُعطي التصريف في ثلاثة أرباع مصر وقراها، ولا يقدر أحد من أرباب الأحوال أن يدخل مصر إلا بإذن الشيخ علي الخواص"[1].

يقول الصبَّان: "إن يزيد أمر أن يطاف برأس الحسين في البلاد، فطيف به حتى انتهى إلى عسقلان، فدفنه أميرها بها، فلما غلب الإفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع بن زريك وزير الفاطميين بمال جزيل، ومشى إلى لقائه من عدة مراحل"، ثم يقول: "والذي عليه الصوفية أنه بالمشهد القاهري وذكر بعضهم أن القطب يزوره كل يوم"[2].

يقول الشعراني عن الحسين ﷺ: "وأخته زينب المدفونة بقناطر السباع من مصر المحروسة، وحملت رأسه إلى مصر ودفنت بالمشهد المشهور بها، ومشى الناس أمامها حفاة من مدينة غزة إلى مصر تعظيما لها"[3].

وتابعه في النقل عنه كل من تأخر كالقليوبي في تحفة الراغب [ص ٩]، والصبَّان في إسعاف الراغبين [ص ١٩٦]، والعدوي في مشارق الأنوار [ص ١٠٠]، والشبلنجي في نور الأبصار [ص ١٦٦]، حيث يقول عن الشعراني في كتابه المنن الكبرى: "أخبرني الخواص أن رأس الإمام الحسين ﷺ حقيقة في المشهد الحسيني"[4]، ويقول أيضا: "أخبرني [سيده] عليا الخواص أن السيدة زينب المدفونة بقناطر السباع ابنة الإمام علي ﷺ، وأنها في هذا المكان بلا شك"[5]،

---

١ الطبقات الكبرى للشعراني ٢: ١٣٥

٢ إسعاف الراغبين للصبان ١٩٦: ١٩٧

٣ الطبقات الكبرى للشعراني ١: ٢٣

٤ نور الأبصار للشبلنجي ١٣٤ ينقله عن لطائف المنن الكبرى للشعراني

٥ نور الأبصار للشبلنجي ١٨٣ ينقله عن لطائف المنن الكبرى للشعراني، وإسعاف الراغبين للصبان: ١٩٩

وفي لواقح الأنوار القدسية: "أن زينب المدفونة بقناطر السباع أخت الحسين رضي اللّٰـه عنهما".
والرفاعي في نور الأنوار [ص ٨]، والشيخ جعفر النقدي في زينب الكبرى [ص ١٢٣]، وحسن قاسم في السيدة زينب [ص ١٣].

الفصل الرابع

مناقشة روايات دخول زينب مصر

اعتمد المثبتون لرواية دخول السيدة زينب القاهرة على ما روي عن الرحالة الكوهيني، ورسالة العبيدلي، كما يستندون إلى ما ورد في مخطوط تاريخ دمشق لابن عساكر مؤرخ القرن السادس الهجري، والمؤرخ ابن طولون الدمشقي.

ومضمون هذه الروايات أن زينب بنت علي بن أبي طالب رضي اللّـه عنها، لما قدمت إلى المدينة عائدة من دمشق، جعلت تخطب في الناس وتؤلبهم على خلع يزيد والأخذ بثأر الحسين، فكتب والي المدينة عمرو بن سعيد بن العاص [الأشدق] إلى يزيد يُعلمه الخبر، فرد عليه أن فرّق بينها وبينهم، فأمرها بالخروج فاختارت مصر، ودخلتها في شعبان سنة [٦١ هـ]، ومعها فاطمة، وسكينة، وعلي أبناء الحسين، واستقبلها الناس في بلبيس، وتقدم إليها والِيها مسلمة بن مخلد الأنصاري[1]، واستضافها في داره الحمراء، فأقامت به أحد عشر شهرا وخمسة عشرة يوما، وتوفيت يوم الأحد لخمسة عشر يوما مضت من رجب سنة [٦٢ هـ]، وصلى عليها مسلمة بن مخلد ورجع بها فدفنوها بالحمراء بمخدعها من الدار حسب وصيتها"[2]، نوجز مناقشة البحاثة السابقي لمتون هذه الروايات، فنقول:

---

١ هناك اختلاف حول سنة وفاة مسلمة بن مخلد الأنصاري يقول ابن سعد في الطبقات الكبرى ٧: ٥٠٤ أنه صار في أواخر ايامه إلى المدينة المنورة ومات بها في خلافة معاوية بن أبي سفيان، والرأي الثاني عن ابن حبان، وابن البرقي، أنه مات بمصر، وقيل: أنه توفي في ذي القعدة سنة ٦٢ هـ، المنتظم لابن الجوزي ٦: ١٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٥: ٧٢٧، وشذرات الذهب لابن العماد ١: ٧٠، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧٩٩١

٢ عثر الأستاذ حسن قاسم في بلاد الشام على وريقات اسمها أخبار الزينبات، وطبعها مع إضافات أخرى، واستدل برواياتها على صحة قبر السيدة زينب، وذكر أن هذه الأوراق ليحيى بن الحسن بن جعفر العبيدلي المتوف سنة ٢٧٧ هـ، ويرى البحاثة السابقي أنها للنسابة محمد بن أسعد بن علي بن معمر الحسيني العبيدلي المعروف بابن الجواني، أو ابن النحوي المتوف قرب ٦٠٠هـ، وناقش ذلك باستفاضة، وتتبع أسانيد هذه الروايات، وأكد أنها عن مجاهيل.

١. استبعاد تصدي السيدة زينب رضوان اللَّـه عليها للخطابة في الناس، وهي التي لم يرَ أحد من الأجانب شخصها في نور النهار، وأيضا في وجود زوجها عبد اللَّـه بن جعفر وابن أخيها علي ابن الحسين، وهو الولي الوحيد لدم أبيه، وأحق الناس به.
٢. انشغال المدينة وأهلها بأحداث عبد اللَّـه بن الزبير عن المطالبة بثأر الحسين.
٣. أن مصر في ذلك الوقت كان بها مسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج على وجه الخصوص، فقد كانا رأس المطالبين بدم عثمان، ولم يبايعا عليا ولم يأتمر بأمرا نوابه بمصر[1]؛ ولذلك تعدهما الشيعة من ألد أعداء علي ومن أخلص أحباء معاوية، فكيف طابت مصر للعقيلة زينب أن تتخذها مسكنا لها، ثم تنزل في داره، وتموت عنده، بل ويصلي عليها.
٤. لم يذكر أي مصدر أن زوجها عبد اللَّـه بن جعفر الطيار سافر معها، أو أذن لها بالسفر، أو زارها بعد استقرارها في مصر، ولا أن أحدا من بني هاشم زارها في حياتها، ولا بعد مماتها.
٥. يعترف القليوبي بعدم الوقوف على تاريخ وفاتها، ويقول عمر رضا كحالة أنها توفيت سنة [٦٥ هـ]، ودفنت بقناطر السباع[2].
٦. أن كتب العبيدلي الأخرى مثل أخبار المدينة، وكتاب النسب لم تشر لما نسب إليه في وريقات رسالته أخبار الزينبيات، وكثير من المؤلفين نقلوا عن كتبه كثيرا كأبي الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين، وشيخ الشرف العبيدلي في تهذيب الأنساب، وابن طقطقي في النسب الأصيلي، والنسابة العمري في المجدي، وأكثرهم تعرض لترجمة زينب الكبرى ولكن لم ينقل أحد عنه أنها ذهبت إلى مصر وماتت بها.

١ البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٤٢١

٢ كان ميدان السيدة زينب الحالي جزءا من مسار النيل قديما، وكانت عليه قنطرة تسمى قنطرة السباع؛ لأنها كانت مزينة من جوانبها بتماثيل سباع، كما هو الحال في مداخل كوبري قصر النيل حاليا، وقد أنشأ هذه القنطرة ركن الدين بيبرس البندقداري المتوفى سنة ٦٧٣ هـ، وقد تم ردم هذا الجزء من الخليج وزالت القنطرة فاتسع الشارع بعد عدة قرون، وظهر مسجد السيدة، وسمي المكان ميدان السيدة زينب.

٧. أقوال كبار المؤرخين لم تثبت دخول زينب الكبرى مصر، ومنهم: عبد الرحمن بن الحكم المعاصر للعبيدلي، والمتوفى سنة ٢٥٧ هـ الذي ألف عدة كتب في أخبار مصر وذكر جملة من الصحابة الذين دخلوا مصر، وليس فيهم ذكر زينب الكبرى ورحلتها إلى مصر، ومعاصره محمد ابن الربيع الجيزي ترجم للصحابة والصحابيات الذين دخلوا مصر، وكذا القضاعي [ت: ٤٥٣]، وله تأليف في مزارات مصر سماه أنس الزائرين، وابن جبير الأندلسي أثناء رحلته إلى القاهرة عام ٥٧٨ هـ، وهكذا ابن أسعد الجواني [ت: ٦٠٠]، وله مزارات الأشراف، وابن ميسر المصري [ت: ٦٧٧]، وله كتاب في تاريخ مصر، وابن تغري بردي [ت: ٧٠٤]، وكتابه النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، وابن دقماق [ت: ٧٩٢]، وله في أخبار مصر وخططها كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، وابن الناسخ المصري [ت: ٨٠٠] وكتابه مصابيح الدياجي وغوث الراجي، وهو مخطوط لم يطبع بعد، وابن الزيات الأنصاري [ت: ٨١٤]، وكتابه الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، ونور الدين السخاوي [ت: ٨١٤]، وله كتاب تحفة الأحباب، والمقريزي [ت: ٨٤٥]، وكتبه الخطط واتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء، والقاضي ابن ظهيرة [ت: ٨٩١]، وكتابه الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، والحافظ السخاوي [ت: ٩٠٢]، وله كتاب منفرد في ترجمة زينب الكبرى، والسيوطي [ت: ٩١١]، وله كتاب حسن المحاضرة، وكتاب در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة ترجم فيه مئات الصحابة، وسبع صحابيات ليس فيهن زينب الكبرى، وأحمد بن محمد السلفي [ت ٥٧٦] يصرح بأنه لم يمت لعلي بن أبي طالب ولد لصلبه في مصر.

الفصل الخامس

مشاهد الرؤيا

هناك نوع من المشاهد والأضرحة يطلق عليها مشاهد رؤيا، والمعنى المقصود أنه لا يوجد أي دليل تاريخي أو علمي يؤكد دفن صاحب الضريح في هذا المكان، وإنما بني هذا الضريح بعد تصريح أحد الأولياء أنه رأى رؤيا لصاحب الضريح في هذا المكان، أو أنه عين له موضع دفنه، فأذاع النبأ، وتسابق الناس على بناء الضريح، وتركيب العمامة الكبيرة ووضع صناديق النذور، حتى تدور عجلة الحياة على أبواب الوهم.

"ومن ذلك ما كتبه مجد الدين ابن الناسخ المصري [ت ٨٠٠ هـ] في المزارات المصرية، حيث وضع كتابا سماه مصابيح الدياجي وغوث الراجي، وهو مازال مخطوطا برقم [٨٤] في فهرس البلدان، ذكر فيه قبر السيدة زينب بقناطر السباع، وعدّه من قبور الرؤيا، ولم يعرفنا لمن كانت هذه الرؤيا، كما لم يصرح بأن المدفونة هنا زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب؛ لأن تصريحه بأن المدفونة هنا حسب الرؤيا زينب فقط، لا يفيد أنها زينب الكبرى، وإن كان الذهن أسرع انتقالا إلى الفرد الأشهر"[١].

---

١ مرقد العقيلة زينب للبحاثة الشيخ محمد حسنين السابقي ٣٩ – بتصرف.

الفصل السادس

مشاهد كاذبة ومختلقة

"وليس الكذب في مشهد رأس الحسين وحده، بل المشاهد المضافة إلى الأنبياء وغيرهم كذب، مثل القبر الذي يقال له قبر نوح قريب من بعلبك في سفح جبل لبنان، وإنما حدث في أثناء المائة السابعة، وقبر هود الذي في قبلي مسجد جامع دمشق، إنما هو قبر معاوية بن أبي سفيان، وقبر أُبَيّ بن كعب شرقي دمشق، فإن أُبَيًّا لم يقدم دمشق باتفاق العلماء، وكذلك ما يذكر في دمشق من قبور أزواج النبي ﷺ، وإنما توفين بالمدينة المنورة، وكذلك ما يذكر في مصر من قبر علي بن الحسين [المشهور بزين العابدين]، أو جعفر الصادق، أو نحو ذلك، هو كذب باتفاق أهل العلم، فإن عليا بن الحسين، وجعفر الصادق توفيا بالمدينة المنورة"[1]، و"مشهد علي زين العابدين بن الحسين بن علي وهم، فقبره ليس بمصر وإنما قبره بالبقيع، ويقال أن مشهده بالقاهرة يضم رأس ابنه زيد بن علي بن الحسين"[2].

ومن القبور الكاذبة في مصر: "قبر أبي هريرة في محافظة الجيزة، وعليه بنيان شامخ وضريح عليه عمامة كبيرة، وله شارع باسمه، وسدنة وخدمة، مع أن التاريخ يثبت وفاته بقصر العقيق، وأنه نقل إلى المدينة المنورة، ودفن بالبقيع وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان"[3]، والمكان الذي ينسب لعقبة بن عامر من قرافة مصر إنما هو بمنامٍ رآه بعضهم بعد مُدَدٍ متطاولة، والمكان المعروف بالسيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فقد ذكر بعض أهل المعرفة أن خصوص هذا المحل الذي يُزارُ ليس هو قَبْرها، ولكنَّها في تلك البقعة بالاتفاق، وهذا ما أشار إليه ياقوت الحموي في معجم البلدان حين ذكر ما بمصر من المشاهد والمزارات، فقال: وبين مصر والقاهرة قبة يقال: إنها قبر السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ومشهد يقال: إن فيه قبر فاطمة بنت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق،

١ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٤: ٥١٦

٢ نقلناه بتصرف عن مرقد العقيلة زينب للبحاثة الشيخ محمد حسنين السابقي ٥٣

٣ نقلا عن مرقد العقيلة زينب للبحاثة الشيخ محمد حسنين السابقي ٥٩

وقبر آمنة بنت محمد الباقر، ومشهد فيه قبر رقية بنت علي بن أبي طالب"، كما ينفي وجود قبر علي زين العابدين في مصر، ولا يذكر إلا قبر حفيده، فيقول: وعنده في القبة قبر علي بن الحسين بن علي زين العابدين[١].

١ معجم البلدان ٥: ١٤٢.

الباب السادس

السيدة زينب

رئيسة الديوان

١. تعريف ديوان التصريف

٢. نشأة الديوان

٣. وصف الديوان

٤. اجتماعات الديوان

٥. من يحضر الديوان؟

٦. سبب قيام الساعة

٧. الحكومة الباطنية

الفصل الأول

تعريف ديوان التصريف[1]

انتشر بين كثير من عامة الناس بمصر، والصوفية على وجه الخصوص، وصف السيدة زينب رضي اللَّه عنها أنها رئيسة الديوان، وبعضهم يعتقد أن الحسين ﷺ هو الأولى بهذه التسمية، وكثير يعتقد أن أحمد البدوي يمثل مركز كبير للقوى في طنطا، وبالتالي يلعب دورا بارزا في الديوان، ولم يتوقف أحد عند تسمية الديوان ومعنى رئاسته؛ لذا فقد أردنا أن نعمق هذا البحث بإماطة أسرار الديوان، ورغم انتشار هذه التسمية إلا أن عددا قليلا من كتب الصوفية تناول الديوان بالكشف والتوضيح، وتعتبر تلك الكتب في نظر مشايخ الصوفية من كتب الفتوحات الربانية الكبرى، وقد سمعت بنفسي أحد خلفاء شيخ الطريق الكبير يقول: "اللي عاوز يعرف الفتوحات والمذاقات العالية فليقرأ كتب الأكابر كالإبريز للدباغ، والطبقات الكبرى للشعراني"، وهذه العبارة ساق معناها عبد القادر عطا حين قال: "والصوفية يرون أن العلم المكتسب من الأوراق ليس بعلم، وإنما هو علم تقليد وذوق مستعار، والعلم كامن في كل روح إنسانية، وإنما يمنعه من الظهور حجب النفس، ومتى قام العبد على قدم التجرد للَّه باتباع شعائره، واجتناب مكارهه، وصدق توجهه إلى ربه، وصحت نيته، وولى وجهه بعزم وثبات نحو الطريق، انكشفت تلك الحجب، وبرز العلم الكامن بمقدار ما في المريد من عزم الجذب من عالم الفيض، وقد برز هذا العلم على ألسنة بعض كبار الصوفية من الأميين الذين جهلوا القراءة والكتابة تماما من أمثال [سيده] عبد العزيز الدباغ صاحب الإبريز، و[سيده] علي الخواص، وقد نقل الشعراني أبحاثه في العلم"[2].

---

١ للاستزادة راجع الكتاب الثالث من السلسلة "عقائد الصوفية" فقد تم تكرار مادة هذا الباب منه لصلتها الوطيدة بموضوع هذا الكتاب.

٢ عبد القادر عطا في تعليقه على كتاب علم القلوب لأبي طالب المكي ص ٥٤

الفصل الثاني
نشأة الديوان

يكثر بين أتباع الصوفية الحديث عن الأقطاب، والأبدال، والنقباء، ودور كل منهم على حدة، ولكنهم وجدوا أنه ليس من المعقول أن يظل كل ولي من هؤلاء في معزل عن صاحبه، لا سيما وقد أشارت معارف الصوفية إلى تحركات، وتنقلات للأبدال، والأقطاب، وغيرهم، فهداهم شيطان الشطح أن يخترعوا اجتماعات روحية، وجسدية يومية لكل أصناف الأولياء، وطبقاتهم: لذا راحوا يرتبون اللقاءات فيما بينهم، ولا يجتمع هؤلاء لأمر بسيط، وإنما ليتولوا تشكيل مجلس يدير الكون، وينظر في أموره، وأحواله نيابة عن اللَّه ﷻ. وهو ما يُعرف بالديوان، أو المملكة الباطنية، ولما كان الدباغ أكثر من تحدث عن الديوان، لذا سنعرض ما جاء في إبريزه بصورة مختصرة، وعلى هيئة نقاط محددة، وسنذكر أقوال الرجل أمام كل نقطة:

١. **ما الديوان؟**: عبارة عن اجتماع يومي يتم بين الأولياء الأموات منهم والأحياء، من مشارق الأرض ومغاربها، ويروي الشعراني في طبقاته[1]، عن عبد اللَّه التستري، أنه قال: "ما من ولي للَّه صحت ولايته إلا ويحضر إلى مكة في كل ليلة جمعة لا يتأخر عن ذلك".

٢. **مكان الديوان**: غار حراء بمكة المكرمة.

٣. **نشأة الديوان**: ويزعمون أن: الديوان كان معمورا بالملائكة، ولما بعث اللَّه النبي ﷺ جعل الديوان يعمر بأولياء هذه الأمة، فظهر أن أولئك الملائكة كانوا نائبين عن أولياء هذه الأمة المشرفة، حيث رأينا الولي إذا خرج إلى الدنيا، وفُتِحَ عليه، وصار من أهل الديوان، فإنه يجيء إلى موضع مخصوص، فيجلس فيه، ويصعد الملك الذي كان فيه، فإذا ظهر ولي آخر جاء إلى موضع،

١ الطبقات الكبرى للشعراني ١: ٦٧

ويصعد الملك الذي في ذلك الموضع، وهكذا كانت بداية عمارة الديوان حتى كمل، وأما الملائكة الذين هم باقون فيه، فهم ملائكة ذات النبي ﷺ الذين كانوا حفاظا لها في الدنيا، ولما كان نور ذاته ﷺ مفرقا في أهل الديوان بقيت ملائكة الذات الشريفة مع ذلك النور الشريف.

٤. **وصف الديوان**: يتكون الديوان من سبع دوائر متحدة المركز، ويطلق الدباغ في كتابه اسما لكل دائرة صفا، فأصغر الدوائر قطرا تسمى الصف الأول، ووصفها كالتالي: يجلس القطب الغوث في صدر الصف الأول، وأربعة أقطاب عن يمينه، وهؤلاء الخمسة مالكية المذهب، وعن يساره ثلاثة أقطاب، واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة، والوكيل في مواجهة الغوث، وهو مالكي أيضا[١]، ولا يتكلم الغوث إلا مع الوكيل، ولذلك سمي وكيلا؛ لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان، والتصرف للأقطاب السبعة عن أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبع تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته.

٥. **اجتماعات الديوان**: ما زلنا ننقل لك أيها القارئ الكريم الحديث عن الدباغ من كتابه الإبريز، ودورنا في هذا النقل هو التلخيص خشية الإطالة، والتبويب لبيان فكرة الديوان، وتكاملها في الفكر الصوفي، ولتغطية كافة التفاصيل، فالاجتماعات لها موعد، ولغة، وجدول أعمال، ومعروف من يدعون إليها، كما أن الاجتماعات السنوية تشبه اجتماعات الجمعية العمومية في وقتنا الحالي.

---

١ لاحظ تحيز الدباغ للمذهب المالكي، فقد منحهم ستة مقاعد في الصف الأول، ولم يعطِ بقية المذاهب إلا مقعدا واحدا لكل منهم، فالرجل مالكي المذهب.

٦. **موعد الاجتماع**: يوميا في الثلث الأخير من الليل، وهي ساعة استجابة الدعاء، وساعة ميلاد رسول اللَّـه ﷺ.

٧. **لغة الاجتماع**: السريانية: لاختصارها، وجمعها المعاني الكثيرة: ولأن الديوان يحضره الأرواح والملائكة، والسريانية هي لغتهم، ولا يتكلمون بالعربية إلا إذا حضر النبي ﷺ أدبا معه.

٨. **الغرض من الاجتماع**: إذا اجتمعوا اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد، فهم يتكلمون في قضاء اللَّـه تعالى في اليوم المستقبل، والليلة التي تليه، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية، وحتى في الحجب السبعين، وحتى ما فوق الحجب السبعين، فهم يتصرفون فيه - حسب زعمهم - وفي أهله، وفي خواطرهم، وما تهجس به ضمائرهم، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصريف، وإذا كان هذا في عالم ما فوق الحجب السبعين التي فوق العرش، فما ظنك بغيره من العوالم؟!.

٩. **كيف يجتمعون؟** ينزل الأموات من البرزخ، ويطيرون طيرا بطيران الروح، فإن قربوا موضع الديوان بنحو مسافة نزلوا إلى الأرض، ومشوا على أرجلهم، إلى أن يصيروا إلى الديوان، والميت يحضر بذات روحه، لا بذاته الفانية الترابية.

١٠. **الاجتماع السنوي**: يحضره الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مثل: إبراهيم، وموسى، وغيرهما من الرسل.

١١. **موعد الاجتماع السنوي**: في ليلة القدر، ويحضره الملأ الأعلى من الملائكة المقربين، وأزواج النبي ﷺ، وأكابر صحابته رضوان اللَّـه عليهم.

١٢. **مَن يحضر الديوان؟** : يُفصِّل الدباغ أمور الديوان، وننقل عنه ما يتعلق بالحضور، ومتى يحضر النبي ﷺ اجتماعات الديوان؟ وما حال الحضور حينئذ؟ ومن يخلف القطب إذا اعتذر عن الاجتماع، وشغله أمر أهم من تدبير شئون الكون؟ وما إلى ذلك من أمور، فنراه يقول:

- **من الحاضرون؟**: الأولياء، الأحياء والأموات، والملائكة وهم من وراء الصفوف، والجن الكمل، وهم الروحانيون، وهم من وراء الجميع، وهم يبلغون صفا كاملا، وليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ.
- **كيف نميز الأحياء من الأموات؟** : يمكن تمييز الحاضرين الأحياء من الأموات بثلاثة أمور، هي:

* إن زِيّ الأموات لا يتبدل، وهيئته ثابتة، بينما الأحياء ثيابهم تتغير وهيئاتهم، كذلك فمرة ترى الواحد منهم حليق الشعر، ومرة بدون شارب وهكذا.
* إن ذات الميت لا ظل لها، فإذا وقف الميت بينك وبين الشمس لا ترى له ظلا.
* الأموات لا تقع معهم مشاورة في أمور الأحياء: لأنهم لا تصرف لهم فيها، وقد انتقلوا إلى عالم آخر في غاية المباينة لعالم الأحياء، وإنما تقع معهم المشاورة في أمور عالم الأموات.

١٣. **هل يحضر النبي ﷺ؟** : نعم، وإذا حضر النبي ﷺ إلى الديوان جلس في موضع الغوث، وجلس الغوث في موضع الوكيل، وتأخر الوكيل للصف، وإذا جاء النبي ﷺ جاءت معه الأنوار التي لا تطاق، وإنما هي أنوار محرقة قاتلة لحينها، وهي أنوار المهابة والجلال، وكلامه ﷺ مع الغوث، فالأمر الذي ينزل من عند اللّه لا تطيقه ذات إلا ذات النبي ﷺ، وإذا خرج من عنده ﷺ لا تطيقه ذات إلا ذات الغوث، ومن ذات الغوث يتفرق على الأقطاب السبعة، ومنهم يتفرق على أهل الديوان. وإذا حضر النبي ﷺ في الديوان،

وجاءت معه الأنوار التي لا تطاق، بادرت الملائكة من أهل الديوان، ودخلوا في نوره ﷺ، فما دام النبي ﷺ في الديوان لا يظهر منهم ملك، فإذا خرج من الديوان رجع الملائكة إلى مراكزهم.

١٤. **غياب الغوث وديكتاتورية الأغلبية**: قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره، فيحصل بين أولياء اللَّه تعالى ما يوجب اختلافهم، فيقع فيهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضا، فإن كان غالبهم اختار أمرا، وخالف الأقل من ذلك، فإن الأقل يحصل فيهم التصرف السابق، فيموتون جميعا[1].

١٥. **سبب غياب الغوث**: إما لاستغراقه في مشاهدة الحق سبحانه، وإما لكونه في بداية توليته بعد موت الغوث السابق، لذا فإنه قد لا يحضر في بداية الأمر حتى تتأنس ذاته شيئا فشيئا.

١٦. **حضور النبي ﷺ في غياب الغوث**: يحصل لأهل الديوان من الخوف الجزع، من حيث يجهلون العاقبة من حضور النبي ﷺ ما يخرجهم عن حواسهم، حتى أنه لو طال ذلك أياما كثيرة لانهدمت العوالم[2].

١٧. **لِمَ يحضر الجن والملائكة؟**: إن الأولياء يتصرفون في أمور تطيق ذواتهم الوصول إليها، وفي أمور أخرى لا تطيق ذواتهم الوصول إليها، فيستعينون بالملائكة والجن فيها.

١٨. **هل يحضر نساء في الديوان؟**: نعم، يحضره النساء، وعددهن قليل، وصفوفهن ثلاثة، وذلك من جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار خلف الصف الأول[3].

---

١ لا نعرف مسمى لهذا النوع من الديكتاتورية، أهي ديكتاتورية الأغلبية؟!، أم تراها تهدف إلا أن تركب الأقلية الموجة خشية القتل؟، وهذا النوع من البطش لا يليق بالحكومات الظالمة، فكيف يقع من صفوة الأولياء رواد الديوان؟!

٢ أرأيت باطلا أشنع من هذا: مجرد غياب الغوث عدة أيام عن حضور ديوان التصريف تنهدم العوالم!

٣ لاحظ النساء ممثلات في الديوان، ويجلسن في ناحية الأحناف، والشافعية، والحنابلة، وبالطبع بعيدات عن المالكية.

الفصل الثالث

سبب قيام الساعة عند الدراويش

لا دخل للمجاذيب في الديوان، ولا بأيديهم تصرف، وإذا بلغ إليهم التصرف هلك الناس، فإذا كان كبير الديوان [أي الغوث] منهم، وليس معه عقل تمييز، فيقع الخلل في التصرف، ويكون ذلك سببا في خروج الدجال.

لا شك أن حجم الضلال والبهتان في موضوع الديوان، والمملكة الباطنية أكبر مما يظن أتباع الصوفية، وحين قَبِلَ المريدون من مشايخهم تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، فإنهم لا يدركون أن هذا الباطن يلغي توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، ويشكك في أسماء، وصفات مالك الملك ﷻ، فالدنيا تسير بتصريف القطب وأتباعه، والقيامة تقوم إذا تولى تصريف الكون مجذوب لا يدري من أمر نفسه شيئا، والمجذوب لا يأمنه عاقل على بضاعة يبيعها للناس، فكيف يقبل الناس أن يتولى مجذوب تصريف شئون الكون، فيقع الخلل، ويخرج الدجال، وتقوم الساعة. سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم، أعانهم عليه قوم آخرون، ومن علامات الحق أنه واحد أبلج [واضح] لا اختلاف فيه، ومن علامات الباطل أنه لجلج[1]، وظلمات بعضها فوق بعض، وأنه لا يتفق فيما بينه أبدا.

وقد تحدث بعض الصوفية في كتبهم عن الديوان منهم الدباغ، والخواص، والشعراني، ويقول التجاني: أنه رأى في الديوان سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام يطلب الدعاء من سيده منصور"[2]. ومن أمثلة التصريف التي يرويها الشعراني في ترجمة الشيخ مُحَيسِن البرلسي: "أنه كان من أصحاب الكشف التام، وكانت النار موقدة عنده في أغلب أوقاته صيفا وشتاء، وكان سيده علي الخواص إذا شك في نزول بلاء على أهل مصر، يقول: اذهبوا إلى الشيخ محيسن،

---

١ اللجلج: المخْتَلِطُ الذي ليس بمستقيم.

٢ رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم لعمر بن سعيد ٢: ٢١٤

فانظروا النار التي عنده، هل موقدة هي أم مطفأة، فإن كانت مطفأة حصل في مصر رخاء، ونعمة، وكان الناس في غاية الراحة، فإذا كانت موقدة، يقول علي الخواص: اللّه لا يبشره بخير، فيصبح الناس في شدة عظيمة في مسكنهم حتى بلاد الهند، ويحصل لهم غاية الضيق"[1]، ويحكي الشعراني كرامة لقميص إبراهيم المجذوب، فيقول: "وكل قميص لبسه الشيخ إبراهيم يخيطه، ويحزقه على رقبته، فإن ضيقه جدا حتى ينخنق، يحصل للناس شدة عظيمة، وإن وسعه حصل للناس الفرج"[2]، ويقرر الشعراني أن شيخه علي الخواص أوتي التصريف في ثلاثة أرباع مصر، وكان: "يرسل للشيخ الشريف المجذوب الحملات الثقال، فيقوم بها"[3]. ويتمادى الشعراني، فيدعي أنه لا ينام كل ليلة حتى يطمئن بنفسه على الدنيا، ويقوم بنوبته لحراستها، ويصف لنا مساره قائلا: "وصورة طوافي كل ليلة على مصر، وجميع أقاليم الأرض، أنني أشير بإصبعي إلى أزقة جميع المدائن، والقرى، والبراري، والبحار، وأنا أقول: اللّه اللّه اللّه، فأبدأ بمصر العتيقة، ثم بالقاهرة، ثم بقراها، حتى أصل إلى مدينة غزة، ثم إلى القدس، ثم إلى الشام، ثم إلى حلب، ثم إلى بلاد العجم، ثم إلى بلاد التركية، ثم إلى بلاد الروم، ثم أعدي من البحر المحيط إلى بلاد المغرب، فأطوف بلدا بلدا حتى أجيء الإسكندرية، ثم أعطف منها إلى دمياط، ثم منها إلى أقصى الصعيد، ثم إلى أقصى بلاد العبيد، ثم إلى بلاد الرجرا، وهي إقطاع جدي الخامس، ثم أعطف إلى بلاد التكرور، وبلاد السكوت، ومنها إلى بلاد النجاشي، ثم إلى أقصى بلاد الحبشة، وهي سفر عشر سنين، ثم منها إلى بلاد الهند، ثم إلى بلاد السند، ثم إلى بلاد الصين، ثم ارجع إلى بلاد اليمن، ثم إلى مكة، ثم أخرج من باب المعلى، إلى الدرب الحجازي، إلى بدر، ثم إلى الصفراء، ثم إلى مدينة النبي ﷺ، فأستأذنه عند باب السور، ثم أدخل حتى أقف

١ الطبقات الكبرى للشعراني ٢: ١٢٩

٢ الطبقات الكبرى للشعراني ٢: ١٢٨

٣ الطبقات الكبرى للشعراني ٢: ١٣٤

بين يديه ﷺ، فأصلى وأسلم عليه، وعلى صاحبيه، وأزور من في البقيع، ثم أقول: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات١٨٠:١٨٢]، وما أرجع إلى داري بمصر، إلا وأنا ألهث من شدة التعب، كأني كنت حاملا جبلا عظيما، ولا أعلم أحدا سبقني إلى مثل هذا الطواف، وكان ابتداء حصول هذا المقام لي سنة ٩٣٣ هـ، فرأيت نفسي في محفة طائرة، فطافت بي سائر أقطار الأرض في لحظة، وكانت تطوف بي على قبور المشايخ من فوق أضرحتهم، إلا ضريح سيده أحمد البدوي، وضريح سيده إبراهيم الدسوقي، فإن المحفة نزلت بي من تحت عتبة كل منهما، ومرت من تحت قبره"[٦].

وأمثلة هذا الهراء لا تنتهي، فما أيسر ادعاء الناس بالباطل، ودون دليل أو برهان، فلا حاجز يمنع اللسان من أن يخوض، ويصول، ويجول، فما أيسر أن يُغلف الشيطان هذه الأقوال بثياب الفتوح، والإلهام، وتلبيس التوحيد للّه ﷻ. وحقيقة الأمر أنها غياهب الضلال، وإلهامات الشياطين.

---

١ لطائف المنن والأخلاق للشعراني ١٧٤

الفصل الرابع

الحكومة الباطنية

لا شك أن ما قدمناه فيما سبق من بيان حول مقامات الصوفية، ودرجاتهم، والديوان، واجتماعات الأقطاب، والأبدال، والأوتاد قد أعطى تصورا واضحا عن مدى الهلوسة في الفكر الصوفي، وتأثره بالأفكار الباطنية، فهذه الهيئة الصوفية الباطنية المختفية عن الأنظار تماثل تماما فكرة غياب المهدي في السرداب، وتصريفه للأمور إلى أن يخرج للشيعة، ويفعل الأفاعيل بأهل السنة. إن مفاهيم الدباغ غاية في الخطورة، فالرجل يزعم، والصوفية من ورائه أن أهل الديوان يتصرفون في جميع العوالم، ولا يقف افتراء الرجل عند هذا الحد، بل يتجاوزه بجرأة، ووقاحة بالغتين، حين يزعم أنهم يتصرفون في الحجب السبعين التي فوق العرش، وهو بهذا يخفي مراده، فالرحمن على العرش استوى، فلم يبقَ للدباغ إلا أن يقول أن أهل الديوان يتصرفون في حجب عظمة اللَّه ﷻ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم، سبحانك ربنا، وإليك المصير، ويومئذ تُوفى كل نفس ما كسبت، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

١ . هلوسة في رسالة دكتوراه.

ومن أغرب الكتب التي اطلعت عليها، كتاب ألفه حسن محمد الشرقاوي الحاصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية، وقد سمى كتابه الحكومة الباطنية، ويهديه[١] إلى: "الخائفين ليثبتوا، والمتشككين ليؤمنوا، واليائسين ليتحرروا، والتائبين ليطمئنوا، إلى المؤمنين ليزدادوا إيمانا، والصابرين ليشتدوا عزما، والمخلصين ليروا ثمرة إخلاصهم، والمجاهدين لينعموا، والعارفين ليشهدوا"، "إلى كل هؤلاء أهدي كتابي هذا عسى أن يتقبلني تقبلا حسنا، ونعم باللَّه وكيلا. المؤلف حسن الشرقاوي".

---

١ كتاب الحكومة الباطنية للدكتور حسن الشرقاوي الإهداء ص ٥

ثم يدافع المؤلف[١] عن الصوفية، ويخرجهم من دائرة الفرق الباطنية، ويقول: "ولا شك أن التصوف السني يأخذ من الكتاب والسنة طريقه، ويهتم بآراء الصوفية الذين أخذوا مادتهم عن الرسول ﷺ، وعن الصحابة، والتابعين سلوكياتهم التي لم تخرج قيد أنملة عن تعاليم الإسلام[٢]، وربما يتبادر إلى ذهن المتأمل النظري، والذي يهتم بالظاهر فحسب أنهم خرجوا بشكل أو بآخر عن التعاليم الإسلامية، ذلك لأنه لم يستخدم تأويله الجانب العملي، أو السلوكي، أو الذوقي الذي يربط بين الظاهر والباطن، وهذا ما جعل كثيرا من الظاهرين ينكرون التصوف السني رغم أنه لم يخرج عن تعاليم الإسلام".

٢. اختصاص أضرحة الصوفية.

يؤمن الدكتور الشرقاوي بأهمية الأضرحة، وأسرارها الباطنية: لذا فقد ألف كتابا أسماه "الحكومة الباطنية"، ثم ذكر في الفصل الذي أسماه الجامعة السطوحية[٣]، عن مقام البدوي، ودرجته الباطنية، يقول فيه: "ومن البحث الميداني اتضح أن عدد الأولياء بمدينة طنطا نفسها ثلاثة وثلاثون وليا،.. يختص كل منهم بكرامة معروفة، ويمتاز بها عن غيره من الأولياء، منهم:

- **البدوي**: "برغم وجود ضريح البدوي بالمنطقة، فإن هذا لا يمنع الناس من الاعتقاد في أتباعه، ووزرائه من الأولياء، وعلى العكس من ذلك تماما، فإن مريدي البدوي في اعتقاد العامة أيسر في استجابة الطلبات، وفي حل المشاكل، ونصرة المظلوم، وفك المربوط، لأن البدوي في اعتقادهم قطب عظيم [وأن مدده عالٍ]، وأنه للوصول إليه يتطلب شفاعة بعض أنصاره، وأتباعه.

---

١ السابق ص ١٠

٢ لاحظ جرأة الرجل

٣ السطوحية: نسبة إلى السطوح الذي أقام فيه أحمد البدوي.

- **عبد العال الأنصاري**: هو خليفة [البدوي]، ووسطته، والشفيع لديه، ولذلك فإن الناس الذين يزورون ضريح البدوي، لا يفوتهم قراءة الفاتحة، وزيارة ضريحه الموجود بجامع البدوي، بل وطلب حاجتهم منه، باعتباره خليفة البدوي، وتلميذه، ونائبه.
- **عز الرجال**: مشهور عنه شفاء أمراض الأطفال، ولذلك تأتي إليه النساء من كل حدب وصوب، حاملات أطفالهن المرضى بغية الشفاء، وهو معروف عنه شفاء الأطفال من المس الروحي، وغيره من الأمراض العصبية، وهو مغربي الأصل، ويقام له مولد، ويزار، وتزداد شهرته سنة بعد أخرى[ž].
- **مرزوق**: من أهل النجدة، ومن كراماته أنه لا يقصده مظلوم إلا وينصره، وكثير من النساء يذهبن بعد صلاة الجمعة إلى مقامه، ويقمن بكنس الضريح على الظالم، وهذا يعني كنسه من الدنيا.
- **محمد البهي**: كان عارفا بعلم الحرف، ودعوته مستجابة، يقال أن مسجده الحالي ما زال يصلي فيه البدوي حتى الآن.
- علي الحامولي: مشهور عنه زواج العانس، ولذلك يردد الزوار [من النساء طبعا] قولهم: "سيدي يا حامولي، جوزني وأنا أجيب لك شمعة طولي".
- أحمد البابلي [الذي كان مقرئا في حضرة البدوي]: يشتهر عنه نصرة المظلوم، ويردد الزوار: "يا بابلي كن باب لي" [أي بابا له إلى مقام البدوي].
- **يونس**: يشتهر عنه "ماضيها" بقضاء الحوائج، ويظهر ذلك في التعبير الشائع بين الناس: "يا ماضيها اقضيها".

---

١ وهكذا يبشر الدكتور الشرقاوي بازدهار الموالد في السنوات المقبلة، نسأل الله أن يخيب ظنه.

- **محمد رمضان**: كان من الأبدال فيظهر في أكثر من مكان في وقت واحد، وكان يشفي الأمراض، ويحضر الفاكهة في غير أوانها، ويكشف الحجاب، ويفرج الكرب عن المكروبين.
- **محمد أبو شوشة**: مكشوف عنه الحجاب، وعنده القدرة على شفاء المرضى، وإدخال الرضا، والراحة النفسية في قلوب المتصلين به، وذلك عند مجالسته، أو ملازمته، ويشتهر عنه عطفه، وبره على الفقراء.
- **الشيخه صباح**: من كراماتها الكثيرة شفاء المرضى خاصة النساء من العقم، وإحضار الفاكهة في غير أوانها، وتلقين المريدين الطريق إلى اللّـه، وإظهار خوارق العادات، وأنها كانت ترى في الحج في مكة والمدينة، وهي في طنطا، لم تبارحها.

كما يذكر مؤلف الحكومة الباطنية بركات الشيخ أحمد الحجاب، ثم يذكر بركات البدوي على التجار، والزراع من أهل المنطقة"[č].

وتعليقنا على كلام الدكتور، أنه: لو ألّف كتاب الحكومة الباطنية الشعراني، أو اليافعي، أو الدباغ، أو الخواص لهان الأمر. أما أن يكتبه حاصل على الدكتوراه، دون أن ينبه الناس على حجم الضلال في مفاهيم الدراويش، وينتصر ولو مرة واحدة لكتاب اللّـه تعالى، وسنة رسوله ﷺ، فهذا ليس له إلا معنى واحد، هو أننا ما زلنا في عصور الظلام، وأن كبوة المسلمين ما زالت قائمة، ليت أحدا من القراء ينتصر لدين اللّـه تعالى، فلا يسمح الأزهر بنشر هذا كتاب، ويحاسب مؤلفه على ما قدمت يداه، وسطره بقلمه.

إن هذا البحث الميداني الذي أجراه الشرقاوي، كان من الممكن أن يكون أفضل كتاب لسنوات قادمة، لو أنه أنفق من وقت إعداده جزءا يسيرا، يدرس فيه أحاديث رسول اللّـه ﷺ، عن الأضرحة، والقبور، وموقف الإسلام منها: ليعرف مدى الجاهلية التي يقع فيها جمهور

---

١ الحكومة الباطنية للشرقاوي ١٤٤ - ١٥٦

البسطاء من أهل مصر. لو أن المؤلف نبه على مظاهر الشرك، ودل الناس على ربهم، ووجههم إلى الاستعانة باللَّـه وحده، وعدم الاستغاثة بسواه. لو حوَّل كتابه إلى إجراءات مطلوبة من المسئولين عن بيان الدين في مجتمعنا هذا، وكتب في الصحف، وظهر في التلفاز، وخاطب العالم والجاهل، لكانت له مساهمة عظيمة في رفع هذا الابتلاء عن ربوع هذه الديار، ولكن الكارثة كل الكارثة أن ينتصر لهذه الجاهلية دون أن يتمعر وجهه غضبا للَّـه تعالى وهو رجل في قمة الشهادات العلمية في الديار المصرية. والحقيقة أن الرجل يدعو لهذه الأفكار، ويهدف من كتابه إلى تثبيت الخائفين، وإيمان المتشككين، كما سطر بنفسه في إهداء الكتاب الذي أشرنا إليه آنفا!. ولا حول ولا قوة إلا باللَّـه العلي العظيم.

يصل الدكتور الشرقاوي إلى نتائجه العجيبة، ويعرضها بسذاجة شديدة، كأنها مسلمات في دين اللَّـه تبارك وتعالى، فتراه يقول[١]: "أما قواعد الدولة الباطنية، فثابتة لا تحتمل التناقض، ولا يأتيها الفساد والتغير؛ لأنها مستمدة من القرآن الكريم، والسنة المحمدية، فهي قواعد صالحة لكل زمان ومكان، وأصحابها يستمدون وجودهم منها، ومن ثم كانوا طبقة خاصة أرستوقراطية، ليس بينهم إلا مؤمن صالح، ومريد صادق، وسالك تائب، وولي عارف".

٣. أكثر الصوفية لا يغضبون للَّـه تعالى.

وكم أحزنني جرأة الرجل على كتاب اللَّـه ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، كيف يسوق خرافاته التي نقلها بالحرف من مؤلفات الشعراني، والدباغ، واليافعي، وهم المعروفون بتبني البدع والخرافات، وأصل من أصول الزيغ والشطط، وكتبهم لا يقرؤها الناس إلا على سبيل التعرف على غرائب الأمور، وسمات مراحل انحطاط المسلمين، وانحدارهم تاريخيا وفكريا، لذلك فقد أحصيت عدد الآيات القرآنية في كتاب الحكومة الباطنية، فوجدتها لا تتجاوز أصابع اليدين، منها:

---

١ الحكومة الباطنية للشرقاوي ص ٢٣٢

آية في مقدمة الطبعة الثالثة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، وآية في صفحة [٤٨]، ويكررها في صفحة [٧٨]، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء-٥٩]، ثم يُتحف القارئ بشرح ابن عربي لها، فيقول: ويقصد بهم الأقطاب والخلفاء، وآيتان في صفحة [٥٤]، يستند بها الصوفية على وجود القطب، أو الخليفة بقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وآية في صفحة ٥٦، وينقل تفسير الشعراني عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، فيقول هي تأييد لوجود الأوتاد كما فسرها ابن عربي، وفي صفحة [٩٣]، يستند إلى قوله تعالى: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، وهكذا إلى نهاية الكتاب. بينما لم تبلغ عدد الأحاديث النبوية التي أوردها في كتابه أصابع اليد الواحدة: فيطالعنا في صفحة [٦٢]، أول حديث ينسبه إلى النبي ﷺ عن النقباء، ويقرر بنفسه أنه لم يجد الحديث إلا عند الشافعي، والسيوطي. ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة، وحديث: "الأرواح جنود مجندة" في صفحة [٨٧]، ثم في صفحة [٧٩] يسوق حديث "اختلاف أمتي رحمة"، الذي أورده الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، حديث [١٦٠]، وقال: زعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له، وأورده الألباني في الأحاديث الضعيفة [حديث رقم ١: ٥٧]، وقال: لا أصل له، ونقل عن المناوي قوله: وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح، ولا ضعيف، ولا موضوع، ومعنى الحديث مستنكر عند المحققين من العلماء، فقال العلامة ابن حزم في الأحكام في أصول الأحكام [٥: ٦٤]، بعد أن أشار إلى أنه ليس بحديث: "وهذا من أفسد قول يكون: لأنه **لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطا**، وهذا ما لا يقوله مسلم.

ولم يحاول الدكتور الشرقاوي أن يتبع أي منهج علمي يثبت به دعواه، ومزاعمه أن الحكومة الباطنية مستمدة من الكتاب والسنَّة، ولم يحدد لنا أي كتاب، وأي سُنَّة يتحدث عنها، ويحيرنا موقف الرجل، وجرأته على كتاب اللَّه ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، ولو احترم عقل القارئ لما خاض في الكتابة باسم الإسلام، ولبحث له عن موضوع من الموضوعات الأخرى، فالعاقل

من عَقَل لسانَه والجاهلُ من جهلَ قَدره، ورُبَّ سكوتٍ أبلغُ من كلام. ولعل الدكتور الشرقاوي يؤمن بالمثل العربي القائل: (وبعض القول يذهب في الرياح).

الباب السابع

حكم التصريف

في ضوء الكتاب والسنة

١. خزائن العطاء للّٰـه وحده

٢. التدبير للّٰـه وحده ولا شريك معه

٣. تفنيد تصريف الأرواح

٤. حكم العلماء فيمن يؤمن بتصريف الأولياء

٥. فتوى شرعية عن التصريف

الفصل الأول[1]

بعد أن استعرضنا أفكار الصوفية عن مملكة الباطن وديوان التصريف، -وغيرها من المفاهيم الخاصة بهم- نجدها مستقاة من عقيدة الباطنية[2] عن أوصاف الإمام، والباب، وما إلى ذلك من المسميات، ولأدركنا أن حجم الزور الفكري، والبهتان العقائدي في هذه المفاهيم قد تجاوز المدى، ولا يخالف الدين فقط، وإنما يهدم بنيانه، وينقضه من أصله.

إن التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللَّـه، هي أفضل ما قاله النبي ﷺ، والأنبياء من قبله، والتوحيد ليس كلمات تقال باللسان، وانتهى الأمر بعد ذلك، وإنما هي حقائق إسلامية، وشعب إيمانية، وروضة إحسانية تضيء القلب، وينشرح لها الفؤاد والصدر، ويستريح لها البال، ويركن لها العقل. فهي تبدأ أولا بنفي الآلهة جميعا، ثم تثبت الإله الواحد القهار، ومن يعتقد ذلك عليه أن يكون صادق العبودية مخلصا للَّـه الدين، فلا تشتت في مقاصده، ولا تشعب في نواياه، وعليه إذا حَزَبَهُ أمر ألا يلجأ إلا إلى اللَّـه ﷻ، وإذا سره أمر فلا يحمد إلا اللَّـه ﷻ، وإذا كانت له حاجة لا يرفع يديه إلا إلى مولاه، ويعلم أنه يناجي ربا واحدا، أزليًّا، أبديًّا، وأن اللَّـه ﷻ حيٌّ قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا يضل ربي، ولا ينسى، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، وإذا أَلَمَّ بالعبد مصاب صبر، وطلب من اللَّـه العفو والعافية، واحتسب الأجر والثواب ممن بيده خزائن الجود، ومفاتيح العطاء، وإذا أفاض اللَّـه ﷻ عليه بنعمة، تحدث إلى الناس بها قولا وعملا، فاستخدم النعمة وفق مراد المنعم، فيأتي الشكر على لسانه، بعد أن حقق الشكر على جوارحه، ومن شكر فضل المنعم، فقد استحق المزيد من النعم، فتلك سنة الكريم الوهاب: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم-٧]، والمتدبر لآيات الكتاب العزيز يرى حقائق الإيمان راسخة، ومظاهر التوحيد ساطعة، وهي بذلك لا تغيب عن عباد

---

١ هذا الباب مختصر من الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من كتاب عقائد الصوفية، وقد أوردناه في هذا الكتاب الذي بين يديك؛ لأهميته الشديدة ولاتصاله الشديد بموضوع هذا الكتاب.

٢ للاستزادة في هذا الموضوع راجع كتابي "جذور الشيعة وجيش المهدي"، و"عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة" من سلسلة الظاهر والباطن.

اللّـه المخلصين؛ لذا نعرض المفاهيم الإسلامية للتصريف عملا بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْـمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات- ٥٥].

- **خزائن العطاء للـه وحده**

يمد اللّـه تبارك وتعالى جميع خلقه: الطائع والعاصي، من جوده، وفضله، ورزقه، قبل أن يسأله أحد، أو يتوسط عنده خلق من خلقه، ولو كان لبعض خلقه وساطة بين يديه، فمن الذي دبر الأمر قبل الخلق، وكيف يسير الكون بعد النفخ في الصور، ويلحق الفناء بالخلق أجمعين. قال تعالى:﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء- ٢٠]، فالعطاء الإلهي ليس محظورا ومهما تنوعت صوره، فهو من خزائن الجود والفضل، بأمر من الكريم الوهاب، وهو سبحانه منزه عن الشريك والولد، ولم يتخذ من خلقه مشيرا يستشيره، ولا وزيرا بين يديه، ولا حاجبا، أو حاجزا بينه وبين خلقه، وبالتالي هو الغني عن المَلَك، والجن، والإنس، ومن في الكون جميعا، وقد تنزه سبحانه عن النسيان والغفلة، ومن ثم لا يحتاج لمن يذكره، ولا تختلط عنده الأسماء، فيحتاج لمن يخطط، أو ينظم بين يديه، وينسق عنده الأشياء، تعالى اللّـه عن ذلك علوا كبيرا، ويعلمنا ﷻ بقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر-٢١]، فالخزائن عنده سبحانه، وعطاؤه بقدر، وليس لأحد أن يكون وسيطا في هذا الأمر، فالملائكة لا تملك شيئا، ولا ينبغي لها، ودورها الذي قدره اللّـه تعالى لها هو تنفيذ أمره، وتحقيق مراده، قال تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْـمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور-٣٧]، ويقول جلَّ من قائل: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [سورة ص- ٩]، ويؤكد الحق تبارك وتعالى هذه المفاهيم بقوله سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء-١٠٠]، وتفسير ذلك أن الخلق فطروا على حب التملك، ولو كان لأحد من الخلق نصيبا في ملك اللّـه ﷻ، وخزائن عطائه، ورحمته، لأمسك خشية الإنفاق، فمن ينفق يخشى نقص النعمة، أما من أوجد النعم من العدم، فلا تفنى خزائنه، ولا يقل ملكه، فاللّـه ﷻ هو الخالق، وهو الرزاق ذو القوة المتين، ومن اعتقد أن له يدا في الإنفاق من خزائن اللّـه ﷻ، فهو من المنافقين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّـهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْـمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون-٧]، حتى الأنبياء، وهم أفضل وأشرف البشر، ينفون عن أنفسهم أي دور بين اللّـه ﷻ وخلقه، فتراهم يقولون: ﴿قُلْ

لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّـهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام-٥٠]، فليس للأنبياء إذن، أي نصيب في ملكية خزائن اللّـه، ولا يعلمون الغيب، ولا يملكون لأنفسهم نفعا، ولا ضرا، وبذلك يؤكد القرآن الكريم في العديد من الآيات المباركات، يقول سبحانه: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّـهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف-١٨٨].

الفصل الثاني

التدبير لله وحده ولا شريك معه

إن الإيمان بوحدانية اللَّـه تبارك وتعالى في تدبيره للكون وشئونه، هو أصل أصول الإسلام، أرساه القرآن الكريم، ووضحته السنة المطهرة، ولم يختلف عليه أحد من السلف الصالح، ولا تجد أحد ممن عاش قرون الخيرية الثلاث ناقش التصريف، أو حام حوله، أو جعله قضية بين المسلمين. واللَّـه جل جلاله يقول: ﴿اللَّـهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[الرعد-٢]، ويقول سبحانه ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّـهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس-٣]، حتى كفار مكة لم يزعموا أن آلهتهم شركاء للَّـه في تدبير الأمور، هم فقط يعتقدون أنهم يقربون إلى اللَّـه زلفى، والقرآن يشهد ببراءتهم من هذا النوع من الشرك، والقرآن يسألهم: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّـهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّـهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس٣١-٣٢].

وتوضح الآية السالفة مدى الشرك الذي يرتكبه الصوفية حين يؤمنون بالديوان والحكومة الباطنية: فالقرآن يناقش كفار مكة، ومنطقه واضح جلي: إذا كنتم لا ترون لآلهتكم تدبيرا للكون، فلماذا لا تتقون اللَّـه ﷻ، ولِمَ تزعمون أن أصنامكم تقرب إلى اللَّـه ﷻ زلفى.

فما بالكم بمن يجعل مع اللَّـه ﷻ مجلس إدارة يدير الكون يوما بيوم؟، ليس هذا فقط، بل ويدَّعي أن أعضاء هذا المجلس يجتمعون لتحديد ما سيكون في غد، ويؤمن أيضا بالتوسل بهم حتى يقربوه إلى اللَّـه زلفى! أليس هذا نكثا خطيرا عن عقيدة الإسلام، وما جاء به أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ؟!

وتنفي الآيات تِباعا اختصاص أحد من الخلق بالتدبير، أو بأي شأن منه، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْـمَوْتَى بَلْ لِلَّـهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد-٣١]، ويقول القرآن الكريم: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّـهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب-٣٧]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّـهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب-٣٨]، ويقول سبحانه: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّـهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾

[الأنفال-٤٤]، ثم ينفي القرآن الكريم مزاعم الباطنية من أهل التصريف، ويقرر أن ليس لهم من الأمر أي شيء، فهو سبحانه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ولا يبدأ التدبير والتصريف باجتماع يعقد على الأرض، ثم تصعد قراراته إلى السماء، أو تنفذ قراراته إلى الأرض بمجرد اتخاذها، يقول سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة-٥]، وكذلك قوله: ﴿لِلَّـهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم-٤]، ثم ينفي الحق تبارك وتعالى عن حبيبه محمد صلوات اللّـه وسلامه عليه أي دور في التدبير، أو ما يسميه جهلة الصوفية التصريف، فيقول: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران-١٢٨]، وقوله عز من قائل: ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾، يفيد نفي التبعيض، أي تأكيد عدم قيام النبي بتدبير أي أمر من الأمور، ثم يأتي قوله:﴿شَيْءٍ﴾ بعد قوله ﷻ: ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾؛ لتنفي أي دور جزئي في تنفيذ أي شأن من الشئون، وبذلك يؤكد القرآن الكريم عدم اختصاص المخلوق بأي دور ظاهر أو باطن، صغيرا كان، أو كبيرا، فهو بذلك يعلمنا أنه وحده، لا شريك له، المنفرد بتدبير شئون خلقه، القيوم الذي لا ينازعه أحد، فالتدبير لازم متلازم مع اتصافه بالخالق، فمن أقر بتوحيد اللّـه خالقا ومُوجِدا من العدم، كيف يظن أو يعتقد في وجود شريك له في تدبير شئون خلقه؟، وكيف تسول له نفسه، ويزين له شيطانه: أن يؤمن بوجود ديوان يجتمع فيه أهل التصريف الأحياء والأموات؟، وكيف ترك العلماء هذه الأفكار تحيا بين العامة من المسلمين، وسمحوا أن تظل فتوحات ومذاقات عالية عند العارفين من أهل التصوف؟. ألم يقرأ العلماء للدباغ، أو الشعراني، أو للشرقاوي، أم تراهم لا يسمعون استغاثات عامة الناس برئيسة الديوان؟ عند حدوث الملمات، والفزع لطلب الحاجات، واللّـه تبارك وتعالى يقول: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف-٥٤]، ويعلمنا القرآن الكريم كيف نرفض هذه الخزعبلات حين يقول: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء ٧٢ - ٧٣]، ويعاتب اللّـه ﷻ المخالفين بقوله: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾ [الرعد-١٦]، ثم يعلمنا حجة قاطعة بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّـهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ [الفتح-١١]، فهو سبحانه المتصرف في خلقه والمعلم لنا:﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود-٥٦]، وها هي آيات القرآن المجيد تشرح لنا كيف يقضي اللّـه ﷻ أمرا في الكون في ثلاثة مواضع هي:

- الموضع الأول قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران-٤٧].
- والثاني قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر- ٦٨].
- والثالث قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر-٦٨].

فأمر اللّـه بكن يكون، وحاشا للّـه أن تقوم الساعة إذا تولى المجاذيب التصريف ورئاسة الديوان، سبحانك هذا بهتان عظيم، نسأل اللّـه تعالى أن يوفق العلماء لبيان خطورة هذه المعتقدات، ونسأله سبحانه أن يهيئ قلوب العباد لتصحيح حقائق التوحيد، إنه سبحانه نعم المولى، ونعم النصير.

الفصل الثالث

هل للأرواح تصريف؟

من اللطائف القرآنية أن يتكرر خطاب الحق جل جلاله إلى رسوله ﷺ بعدد من الآيات التي تنفي أي نوع من أنواع الوجود للنبي ﷺ قبل مولده، ومنها أحداث وقعت مع نبي اللّـه موسى عليه السلام: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص-٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[القصص-٤٤]، تنفي جميع صور المشاهدة، بما فيها مشاهد الروح، والكشف، والرؤيا المنامية، وكل سبل المشاهدة. ثم يقول عز من قائل: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص-٤٦]، كما يؤكد نفس المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص-٤٥]، وفي قصة مريم عليها السلام يقول سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران-٤٤]، وفي قصة نبي اللّـه يوسف عليه السلام، يقول اللّـه تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف-١٠٢]، ألا تقطع هذه الآيات دابر الذين يفترون على اللّـه الكذب، ويزعمون أن لرسول اللّـه ﷺ أي شهود لأحداث وقعت قبل مولده، فإذا قبلنا الدليل، وأذعنا له، فلا بد من الإقرار، أنه لا تأثير للأرواح في الكون حتى ولو كانت روح النبي ﷺ، قبل مولده. وبالتالي أين الدليل على أن أرواح أصحاب الديوان تلتقي، وتخترق حاجز الزمان والمكان، فيحضر الأحياء والأموات، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة-١١١]، وكيف يُكَذِّب الصوفية قول اللّـه تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف-٩]، فهذا مقام الأنبياء، وعلى رأسهم خاتمهم صلوات ربي وسلامه عليه، لا يدرون ما يفعل اللّـه ﷻ في ملكه، سواء لهم أو لغيرهم، فمن أنشأ في عقول الناس أن القطب الغوث الفرد الجامع، لا يغفل لحظة عن اللوح المحفوظ، ولا يقع في الملك أو الملكوت [ومن الصوفية من قال ولا الجبروت شيء] إلا بإذن القطب وتصريفه، بل إنه يعلم جميع الأولياء، ويمدهم باطنيا بالإمداد والأنوار، أين هذه المزاعم الباطلة من إقرار القرآن الكريم أن رسول اللّـه ﷺ لا يعرف جميع الأنبياء؟ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا

عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر-٧٨]، فكيف جاز للناس أن تؤمن بمعرفة القطب لجميع الأولياء؟ ثم ها هما أفضل البشر بعد الأنبياء والمرسلين سيدنا: أبو بكر الصديق وخليفته عمر الفاروق، لم يزعما معرفتهما بجميع الأولياء، بل إن هناك دليل عملي نستخلصه من حياة الفاروق عمر بن الخطاب رضي اللّـه تعالى عنه، الذي لم يتعرف على أويس القرني من نفسه، وإنما بسؤال قومه عنه، ثم بعلامات عرفها له النبيﷺ، فكيف يزعم المشايخ معرفتهم بجميع الأولياء من نشأة الخلق إلى يوم القيامة، بل وإمدادهم بالبركات والمدد، وكيف يفتري التجانية مسألة إمداد شيخهم لجميع الأولياء بالأنوار، فمن أين استقى دعاة الباطنية، والشيعة، وجهلة الصوفية هذه الأمور؟ ومن أي مصدر استوردوا هذه البضاعة المزجاة؟!

الفصل الرابع

حكم العلماء فيمن يؤمن بتصريف الأولياء

لا يختلف أحد من العلماء أن من زعم أن أحدا من الأولياء يتصرف في ملك اللّـه تعالى، أو في شيء منه، فقد أشرك مع اللّـه تعالى، والشرك ظلم عظيم، قال تعالى على لسان لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّـهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْـمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان-١٣]، وحتى يتضح أمامنا أنواع الشرك التي يقع فيها من يؤمن بتصريف الأولياء، وأيضا من يزور قبرا، أو ضريحا، ويرتكب ما تقع فيه العامة من موبقات، نقول وباللّـه تعالى التوفيق:-

١. تعريف الشرك لغة.

اسم من شركه في كذا يشركه شركا وشركة، إذا جعل له نصيبا قليلا، أو كثيرا، في ذات أو معنى، والشرك ضد التوحيد، كالكفر ضد الإيمان.

٢. تعريف الشرك اصطلاحا.

الشرك اعتقاد المرء في غير اللّـه صفة من صفات اللّـه ﷻ، كأن يقول: إن فلانا يعلم كل شيء، أو يعتقد أن فلانا يفعل ما يشاء، أو يقول: إن فلانا بيده خيري، أو شري، أو يصرف لغير اللّـه من التعظيم، ما لا يليق إلا باللّـه تعالى، كأن يسجد لشخص، أو يطلب من الميت حاجة، أو يعتقد ذلك"[١]، "والشرك في ربوبية اللّـه تعالى، أو أسمائه وصفاته كفر، وفي عبادته تعالى إن كان الفاعل له عالما به مصرا عليه كفر كذلك، إذ الشرك في ربوبيته تعالى، وأسمائه، وصفاته تكذيب له سبحانه، وكذب عليه ﷻ، والشرك في عبادته تعالى تأليه لغيره سبحانه، وتكذيب للّـه تعالى في قوله: ﴿شَهِدَ اللّـهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران-١٨]، وفي قوله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللّـهُ﴾ [محمد-١٩]"[٢].

١ قول الإمام عبد القادر الدهلوي الحنفي.

٢ عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري.

٣. أنواع مهمة من الشرك.

"ويختلف الشرك مع الكفر في أن من الشرك ما لا يكون كفرا، كالشرك الأصغر والشرك الخفي، وتكمن خطورة الشرك إذا كان الفاعل عالما بأن حكم فعله شرك باللّـه تعالى، ثم أصر على شركه عنادا ومكابرة، أو إيثارا للمنافع الدنيوية من مال، أو جاه، أو سلطان"[1].

- الشرك في العلم لقوله: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّـهُ﴾ [النمل-٦٥].
- الشرك بالاستعانة بالأولياء وطلب العون، لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة-٥].
- الشرك بالاستغاثة بهم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال-٩].
- الشرك في النذر لهم: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة -٢٧٠].
- الشرك في الحلف بهم: لقول النبي ﷺ: «من حلف بغير اللّـه فقد أشرك»[2].
- الشرك بدعاء الصالحين، لقوله: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّـهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾ [يونس- ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْـمَسَاجِدَ لِلَّـهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّـهِ أَحَدًا﴾ [الجـن-١٨].
- الشرك في الطاعة في التحليل والتحريم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّـهِ وَالْـمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة-٣١]، هذه الآية لما سمعها عدي بن حاتم الطائي، وهو نصراني، قال لرسول اللّـه ﷺ: إنهم لم يعبدوهم، فقال ﷺ: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»[3]، وقال حذيفة بن اليمان، وعبد اللّـه بن عباس، وغيرهما في تفسيرها، "أنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا"، وقال السدي:

---

١ عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ٨٣ بتصرف.

٢ حديث عبد اللّـه بن عمر رواه الترمذي ١٤٥٥، وروي بلفظ آخر في باقي الكتب التسعة.

٣ حديث عدي بن حاتم رواه الترمذي ٣٠٢٠ وابن جرير الطبري في تفسير الآية.

"استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب اللّـه وراء ظهورهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَـهًا وَاحِدًا﴾، أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حللّـه فهو الحلال، وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ لا إله إلا هو ولا رب سواه"[1].

يقول أبو الحسن الندوي: "إن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحدا باللّـه، ويساوي بينهما بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال، خصها اللّـه تعالى بذاته ﷻ، وجعلها شعارا للعبودية لأحد من الناس كالسجود لأحد، أو الذبح باسمه والنذر له، والاستعانة به في الشدة، والاعتقاد أنه حاضر وناظر في كل مكان، وإثبات التصريف له، كل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح به الإنسان مشركا"[2].

فهذه التعريفات للشرك توضح بجلاء أن العديد من الأئمة لم يقتصروا في بيان الشرك، وتعريفه على أمر الربوبية فقط، بل جعلوا صرف العبادة لغير اللّـه أيا كان شركا أكبر، وذلك هو الشرك الذي يحبط العمل، ولا يقبل اللّـه من فاعله صرفا، ولا عدلا، وهذا هو الشرك الذي قال اللّـه فيه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر-٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّـهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّـهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة -٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء-٤٨]، فالمشرك يحبط عمله، وهو من الخاسرين والجنة محرمة عليه، ولن يغفر اللّـه له شركه أبدا"[3]. والمراد أنه إذا مات على شركه فقد أغلق على نفسه باب التوبة. وإليك أخي القارئ هذه الفتوى.

---

١ تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٢ أبو الحسن الندوي نقلا عن بيان الشرك ووسائله عند أئمة الحنفية للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس ص ٩.

٣ محمد إسماعيل الدهلوي، والشيخ أبو الحسن الندوي، نقلا عن بيان الشرك ووسائله عند أئمة الحنفية للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس ٧

الفصل الخامس

فتوى شرعية عن التصريف

ورد في كتاب مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية فتوى أصدرها فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم، عن حكم النذر للأولياء، فقال:

"وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد. فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه، منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة، والعبادة لا تكون للمخلوق. ومنها أن المنذور له ميت، والميت لا يملك. ومنها أنْ ظنَّ أن الميت يتصرف في الأمور دون اللَّـه تعالى، واعتقاده ذلك كفر.

والظاهر لنا أن هؤلاء العوام، وإن قالوا بألسنتهم: إني نذرت للَّـه، أو تصدقت للَّـه، فمقصدهم في الواقع ونفس الأمر، إنما هو التقرب إلى الأولياء والصالحين، وليس مقصدهم التقرب إلى اللَّـه تعالى وحده، ولم يبتغوا بذلك وجهه، وما أشبه ما يقدمون من قربان، وما ينذرون من نذور، وما يعتقدون في الأضرحة وساكنيها بما كان يصنع المشركون في الجاهلية، وما يغني عنهم نفي الشرك عنهم بألسنتهم، وأفعالهم تنبئ عما يعتقدون من أن هؤلاء الأولياء لهم نافعون ولأعدائهم ضارون. انتهى، وقد جاء في "سبل السلام شرح بلوغ المرام" ما نصه: "وأما النذور المعروفة في هذه الأزمنة على القبور والمشاهد والأموات، فلا كلام في تحريمها؛ لأن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنه ينفع، ويضر، ويجلب الخير، ويدفع الشر، ويعافي الأليم، ويشفي السقيم، وهذا هو الذي كان يفعله عباد الأوثان بعينه، فيحرم كما يحرم النذر على الوثن، ويحرم قبضه لأنه تقرير على الشرك، ويجب النهي عنه، وإبانة أنه من أعظم المحرمات، وأنه الذي كان يفعله عباد الأصنام، لكن طال الأمد حتى صار المعروف منكرا، والمنكر معروفا"[١].

وفي الختام نجد لزاما أن نحمد اللَّـه وحده الذي أخرجنا من ظلمات الجهل إلى نور العلم والفهم، وصدق اللَّـه العظيم، حيث يقول: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّـهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْـمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء-١١١].

---

١ مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية، جمع وترتيب الشيخ صفوت الشوادفي ٤٧

الخاتمة

الحمد للّـه الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي المجتبى على جميع المخلوقات، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى عباد اللّـه الصالحين، والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا، ونسأل اللّـه الكريم رب العرش العظيم أن يلحقنا بهم على الإيمان الكامل وعلى الكتاب والسنة وأن يتوفنا وهو راضٍ عنا بجوده، وكرمه، وعفوه، وحلمه، وستره، ومغفرته، وإحسانه، وبعد؛

فقد انتهينا من بحثنا هذا الذي توصلنا من خلاله إلى مجموعة هامة من النتائج والخلاصات، أولها أن السيدة زينب بنت عليّ، وأخيها الحسين رضوان اللّـه عليهم أجمعين لم يدخلا مصر يقينا، وأن الأمر يحتاج إلى تدخل السلطات في الدولة لتصحيح هذا الخطأ التاريخي الذي استمر قرونا طويلة حتى تقادم عليه العمر، وكثير من الناصحين يقولون لا تتعب نفسك فسيظل الحال على ما هو عليه، ويستدلون على قولهم بالشاعر الذي يقول:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في رماد

وجوابي عليهم: إن لكل امرئ دوره الذي أقامه اللّـه له، فعلى المجتهد البيان وعلى ولي الأمر إعمال الحق وتثبيت أركانه، فعلى الدعاة البلاغ، وعلى ولاة الأمور اتخاذ ما يرونه صوابا، خاصة إذا علمنا من هذا البحث كمية الفساد والانحراف المرتبطة بوجود الضريح في المسجد، ولا يكفي أن نمنع الفنانين والبهلونات من إقامة السيرك ومهرجانات الفنون الشعبية في سرادق إلى جوار كل ضريح طوال أيام المولد، والتصرف الصحيح المطلوب الذي لا يقدر عليه إلا أولوا العزم من الرجال هو نقل الرفات الموجودة داخل كل ضريح إلى مدافن المسلمين، والمحافظة على المساجد للّـه وحده.

إن مسئولية العلماء خطيرة وعليهم تقع المسئولية، وعلى ولاة الأمور أن ينهضوا لرفع صور الشرك من المجتمع الإسلامي والجاثم على صدور المساجد الكبرى، إن حجم الكارثة كبير فلا تكاد تخلو مدينة من مدن الجمهورية من ضريح لأحد الأقطاب، فغربا من مرسى مطروح تجد ضريح العوام، وفي الإسكندرية المرسي أبي العباس، وجابر، وبشر، وغيرهم، ثم إبراهيم

الدسوقي في دسوق، وأحمد البدوي في طنطا، والدكروري في نواحي طوخ، أما في قاهرة المعز، ففيها من الأضرحة أكثر من أن تحصى، ثم الفولي في المنيا، وجلال الدين السيوطي بأسيوط، وعبد الرحيم القنائي في قنا، وأبو الحسن الشاذلي في حميثراء،... والقائمة لا نهاية لها

١. دعوة الدعاة وولاة أمر المسلمين في مصر وغيرها من بلاد الإسلام - من رجال الأزهر الشريف وعلى رأسهم صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر، ومفتي الديار المصرية، والمجلس الصوفي الأعلى، وأهل العلم أن يوضحوا للناس سبيل الحق ودرب الهداية الذي هدانا إليه الحق سبحانه وتعالى، وفصله وبينه المبلغ عنه سيد ولد آدم ﷺ.
٢. اتخاذ الإجراءات اللازمة لإحكام الرقابة على دور المجلس الصوفي الأعلى وأسلوب رعايته للطرق الصوفية، ودراسة منهج عمل المجلس الصوفي الأعلى، وتحليل جوانب القصور في دوره، وتنبيه مشايخ الطرق الحاليين، سواء بعقد ندوات علمية، أو محاضرات تثقيفية، مع برامج محو أمية لتعليم هؤلاء أصول الدين ودعائمه الحقيقية حتى ينبذ الدراويش البدع، ويتركوا مظاهر الشرك في الموالد.
٣. تنبيه الناس إلى التجاوزات الخطيرة التي تحدث في الموالد، والعمل على إلغاء الموالد، ومحاربة مظاهر الشرك المنتشرة في الأضرحة، والعودة إلى هدي اللّـه ﷻ ورسوله صلوات اللّـه وسلامه عليه فيما يخص القبور، والقضاء على تجصيص القبور، وتسنيمها، وإضاءتها، وتسويرها بالأسوار المصنوعة من الذهب الخالص أو الفضة.
٤. زيادة جرعة علوم التوحيد في المدارس، حتى ينشأ المسلم صحيحا في عقيدته، فلا نخاف عليه إذا شب أن يتبع كل ناعق ينعق سواء - بتكفير المجتمع، أو بعبادة ما سوى اللّـه ﷻ، أو إتحاد الخالق والمخلوق في وحدة الوجود، ويظن كثير من الناس أن محاربة الإرهاب، وأصحاب أفكار التكفير والهجرة، وغيرها من تيارات التشدد أولى، ونحن لا نختلف معهم في ذلك، ولكنا نقول ينبغي أيضا أن نهتم بمن يعبد اللّـه على هواه، وليس له شيخ ولا دليل إلا أصحاب الفلسفات والأفكار الباطنية، وإنما التوسط في الأمر أن ندرك خطورة الأمرين معا، ونهتم بالفرقتين جميعا، فكلاهما يحفر سفينة النجاة من ناحية، والماء الذي سيغرق الناس لا يفضل بابا على باب، وكلاهما سبيل سيؤدي

إلى نفس النتيجة، ويكفي أن يرانا اللّـه سبحانه على غفلة عن توحيده، شاهرين سيوفنا على رقاب بعضنا البعض، وليس لنا حوار إلا بالبنادق والمتفجرات.

٥. تعتقد كثير من الجماعات الإسلامية أن الإصلاح يجب أن يبدأ من السلطة الحاكمة، ولذلك يمكرون للاستيلاء على الحكم، ونسوا أن دين اللّـه تبارك وتعالى يأمرنا بطاعة ولاة الأمور وليس علينا إلا أن ننصح لهم بالمعروف وأن لا ننقطع عن الدعاء لهم، عسى اللّـه تبارك وتعالى أن يوفقهم لما يحبه ويرضاه، واعتقد أن انشغال الجماعات الإسلامية بقضية الحاكمية قد حرمها وحرم الأمة من تحقيق أي نجاح لها؛ ولذلك لم تثمر جهودها إلا العنف، والمزيد من العنف، ولو أنهم شغلوا أنفسهم ببيان حقائق الدين وسماحته، ومظاهر الانحراف عن جادة الطريق، فإن الثمرة ستكون عظيمة جدا؛ لأنها أولا تصحيح لعقائد الناس، فإذا عادوا إلى توحيد مولاهم، فتح اللّـه عليهم بركات من السماء والأرض، وشغل الناس بما يصلح دنياهم وأخراهم، ولأدرك الناس طفرة في مجتمعهم وبركة من عند مليكهم وإلههم.

٦. فكتابنا هذا دعوة للعودة إلى دين اللّـه وتصحيح العقيدة، فبهذا بدأ رسول اللّـه ﷺ في مكة، حيث مكث ثلاث سنين لا يُعلم أصحابه، ولا يقول لقومه إلا: ﴿قولوا لا إله إلا اللّـه تفلحوا﴾.

إننا إذا فعلنا ذلك فلن يكون هناك مجال لمظاهر الانحراف في الموالد، تلك المفاسد التي يطالب كثير من العلماء والصوفية بتدخل الدولة لمعالجتها، ولكننا لا نعتقد أن علاج المظاهر الخارجية سيحل المشكلة، بل يجب اقتلاع الخطأ من جذوره، وبذلك نخرج من دائرة اللعن التي حذر منها الرسول ﷺ كل من سار على درب اليهود والنصارى واتخذ من قبور الصالحين مساجد، ولعل ببركة طاعتنا للّـه تبارك وتعالى، وتنفيذ سنة رسوله ﷺ أن يفتح اللّـه علينا بركات من السماء والأرض، وقد شاهدنا في حياتنا دولا مسلمة انتصرت للّـه تعالى، وهدمت ما ارتفع من القبور وسووا الأضرحة بالأرض، ففتح اللّـه عليهم، وأخرجت لهم الأرض بترولا نقلهم من حال إلى حال.

اللَّـهم اهد قومي وأعنهم على طاعتك، وأنر لهم طريق الحق، ويسر عليهم اتباعه، وكره إلينا وإليهم الكفر، والفسوق، والعصيان، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير، وصلِّ اللَّـهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد للَّـه رب العالمين.